جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

خِطابُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ للنجاشِي في أحداثِ الهجرةِ الثانيةِ إلى الحبشة، مقاربة تداوليّة حِجَاجِيّة

الدكتور

هانـي علـي سعيد محمد

أستاذ مُساعد البلاغة والنقد، بقسم اللغة العربيّة،
كليّة الآداب، جامعة الفيوم ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م
الجزء الثاني عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

خِطابُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ للنجاشِي في أحداثِ الهجرةِ الثانيةِ إلى الحبشة، مقاربة تداوليّة حِجَاجِيّة

هاني علي سعيد محمد

قسم البلاغة والنقد ـ بقسم اللغة العربيّة ـ كليّة الآداب، جامعة الفيوم. ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Has00@fayoum.edu.eg

الملخص

جاء هذا البحث تحت عنوان:" خطاب جعفر بن أبي طالب للنجاشي في أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة، مقاربة تداولية حجاجية"، وفيه قدمنا تحليلا اهتم بتحديد المقامات المختلفة للخطاب؛ تناولنا فيها أغراضه وأطرافه وسياقه الزماني والمكاني، ثم درسنا من خلال البعد التداولي المعاني الضمنية، والأفعال الإنجازية والاستجابات المبنية على الفعل التأثيري فيه، ودرسنا بعد ذلك آليات الحجاج المنطقية، والآليات المؤسَّسة على الواقع، إلى جانب آليات الحجاج اللغوي والسلالم الحجاجية، والوسائل البلاغية الداعمة للحجاج، وقد انتهى البحث إلى أن قوة الحجاج تتمثل في توافر الباعث النفسي للمتكلم، وأن الحجاج في الحوار أقوى منه في الموقف الخطابي أحادي المخاطِب، بالإضافة إلى أن نجاح خطاب جعفر– رضي الله عنه– كان مرتهنا بوضوح حججه، وخلوها من التناقض، وأنه لم يُبدِ أية بادرة للتنازل، إلى جانب عدم تماهيه مع أفعال عمرو بن العاص داخل الحدث الخطابي، واختياره السديد للاستشهاد، وترتيبه الدقيق للحجج وفق مقاماتها.

الكلمات المفتاحية : تداولية – حِجَاج – جعفر– الحبشة – خطاب.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Jafar Ibn Abi Talib's Speech to al-Nagashi during the Second Migration to Abyssinia: A Pragmatic Argumentative Approach.

Hani Ali Saeed Mohammed

Department of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Fayoum University. The Arab Republic of Egypt .

Email: Has00@fayoum.edu.eg

Abstract

Entitled " Ja□far Ibn Abi Talib's Speech to al-Nagashi during the Second Migration to Abyssinia: A Pragmatic Argumentative Approach," this paper offers an analysis that focuses on defining the different situations of Ja□far's speech including its purposes, its parties as well as its temporal and spatial contexts. Then, it studies, through the pragmatic dimension, the implicit meanings, illocutionary acts and the responses based on the perlocutionary act in it. After that, it investigates argumentation logical techniques, techniques based on the reality, the linguistic techniques of argumentation and argumentative scale as well as the rhetorical devices supporting the argumentation. This paper concludes that the power of argumentation lies in the speaker's psychological incentives. Also, argumentation in dialogue is more powerful than one speaker discursive situation. The success of Ja□far's speech depended on Ja□far's clear, free from contradiction arguments, his well-chosen quotations and his well-organized arguments according to their situations. In addition, Ja□far did not relinquish and he did not identify with Amr Ibn al-□As's acts in the discursive event.

Keywords: :(pragmatics, argumentation, Jafar, Abyssinia, speech.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وبجوده ومَنِّه تحصلُ البركاتُ، وأصلّي وأسلّم على النبي الخاتمِ محمّدٍ ﷺ أتمَّ وأفضلَ الصلواتِ، وبعدُ،

فما أكثر النصوص والخطابات التراثية الصالحة للدراسة التداولية والحجاجيّة، وقد وقع اختيارُ هذا البحث من بين هذه الكثرة الكاثرة على خطابٍ فارقٍ في لحظته التاريخية، وفي سياقاته وأبعاده المختلفة، وهو خطاب هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة، في العام الخامس من البَعثة النبوية، وهو فارقٌ في سياقِه الزمنيّ؛ حيث كانت الباكورةُ المسلمةُ تُلاقي ألوانَ الهوان في سبيل اعتناقهم الدينَ الجديد، كما أنه فارقٌ في سياقه المكاني؛ إذ كان الحدثُ الخطابيُّ واقعا في بلاد الحبشة، تلك الأرض البعيدة عن مكة، المختلفة في عاداتها ولغتها ومعيشتها وعقيدتها عن حياة العرب، فعلى هذه الأرض تصارعت قوتان لم يكونا على القدر نفسه من الكفاءة، قوة ذات تمكين ومَنَعَة، ويمثلها رجالاتُ قريش وصناديدُها، وقد أرسلوا وفدا لملاحقة المسلمين في ديار الحبشة للتخلص منهم، وقوة ضعيفة تمثلها العصابة المُسلِمة، التي فرّت مهاجرةً لتحتمي بملك الحبشة في أولِ لجوءٍ سياسيّ في تاريخِ الإسلام. وإلى جوار هذين السياقين المهمَّيْنِ يأتي البُعْدُ اللغوي للخطاب، الذي دار فيما بين جعفر بن أبي طالب- رضي الله عنه- والنجاشي، وقد تميز بإدارة جيدة للحوار، وقدرة عالية على ترتيب الكلام والحُجَج، مع مناسبة المقامات الحافة، والخلو من التناقض، وغير ذلك مما أهّله أن يكون المادةَ التطبيقية لهذا البحث.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي ضوء هذا السياق جاء عنوان البحث :"خِطابُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ للنجاشِي في أحداثِ الهجرةِ الثانيةِ إلى الحبشة، مقاربة تداوليّة حِجَاجِيّة " ونقصد بالخطاب هو ذلك الملفوظ الذي وجهه جعفر لتحقيق مقاصده عند النجاشي، وأول هذه المقاصد ضمان حماية النجاشي لجعفر والذين معه من بطش قريش، ويتوجه البحث إلى هذا الخطاب بمقاربة تداوليّة حجاجية، فأما التداولية –بوصفها علم الاستعمال اللغوي– فإننا نُعنى من خلالها برصد أغراض الخطاب والاستجابات المرتبطة به، إلى جانب الأفعال الكلامية المنجزة، ولما كانت اللغة تحمل طابَعا حجاجيا في أبنيتها، وهو ما أثبتته دراسات "ديكرو" و"انسكومبر" حول الحجاج اللغوي– أصبح من شأن الحجاج أن يمنح توجيها حجاجيا للأقوال، ومن ههنا جاءت علاقته بالتداولية التي تدرس الاستعمال اللغوي لإنتاج الأفعال، ونحاول في هذه الدراسة استجلاء آليات الحجاج المحققة للإقناع في خطاب جعفر رضي الله عنه.

وفيما يخص أهدافَ البحثِ، فالأهداف التي يمكن أن نسردَها لهذا النوع من الدراسات متعدّدة، لكنْ أهمُّ ما يشغلنا –فعلا– هو التفتيش عن وسائل نجاح هذا الخطاب في العبور بجعفر والعصابة المُسلمة إلى برّ الأمان؛ لأن السياقاتِ الحافّةَ جميعَها لا تدعم نجاحَه، اللهم إلا ما بُشِّروا به من نبيهم ﷺ أن النجاشي الذي آووا إليه في هجرتهم رجلُ عدلٍ لا يُظلَمُ عنده أحدٌ، وذلك بُعْدٌ نفسيّ مُطَمْئِنٌ بلا شك، لكنه من الممكن أن ينهزم أمام دواعي القلق المحيطة في ظل سطوة قريش، وإرسالها رجالا محمّلين بالدهاء والهدايا؛ رغبة في التخلص من المسلمين؛ خاصة والهجرة الأولى إلى الحبشة قد أبانت لهم عن اكتساب المسلمين شوكة وأشياعا في هذه الأرض الجديدة. وبالرغم من أن هذا هو الهدف الأهم، فإن البحث ينتوي

التدقيق في مقاصد هذا الخطاب، كيف تحققت؟ وما المقامات التي ساندته أو أعاقته؟ وما الاستجابات المرتبطة به؟ وكيف أنجزت الأقوالُ الأفعال؟ وما السُّلَّمُ الحِجاجيّ الذي توافر في الخطاب، وأنواع الحجج، ومدى إسهامها في تحقيق التأثير والاستمالة للمخاطَب؟

ولإنجاز هذه الأهداف قسّمنا البحث إلى مدخل تناولنا فيه العَلاقة فيما بين التيار التداولي والحجاجي، كما أثبتنا نص حديث الهجرة الثانية من مسند أحمد، الذي سنعتمده في التحليل. ثم جاء البحث بعد ذلك مكونا من ثلاثة مطالب، تناولنا في المطلب الأول منها: سياقات الحدث الخطابي ومقاماته الزمانية والمكانية، والسياقات الحافة بأطرافه وموضوعه، ووضعيات المتخاطبين وتبادل الحوار. أما المطلب الثاني: فدرسنا فيه الاستلزام الحواري، والمعاني الضمنية، وأفعال الكلام، والفعل التأثيري والاستجابات المتعلقة به في الخطاب. وفي المطلب الأخير: تناولنا الآليات الحجاجية التي توافرت في الخطاب، فدرسنا الحجج شبه المنطقية بنوعيها: القائمة على البنى المنطقية، والقائمة على العلاقات الرياضية، كما درسنا الحجاج اللغوي والسُّلَّم الحجاجي، والآليات البلاغية المساندة للحجاج. وقد أردفنا هذه المطالب بخاتمة حَوَتْ أهمّ نتائج البحث، ثم ثبَت المصادر والمراجع التي استندنا إليها.

وجاءت هذه المطالب ليَنْظِمَهَا منهجٌ، اعتمدنا فيه على المنجز التداولي وإجراءاته وأدواته في التحليل، من مثل: أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، ومتضمنات القول، والقوة الإنجازية للمنطوق، بالإضافة للاعتماد على

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المنجز الحِجَاجي ومداخله المنطقية واللغوية المختلفة، كما استندنا إلى المنهج التاريخي في عرض مقامات الخطاب من مظانّه التاريخية.

ولم يسبق لخطاب جعفر أن حظي بدراسة من هذه الوجهة التي اعتمدناها في هذا البحث، وهو ما يجعلنا حريصين على أن تكون الدراسةُ كاشفةً عن كوامن هذا الخطاب المهم، وفي الوقت نفسه مشجّعة للباحثين مِن بَعْدُ؛ لاستكمال دراسة بقية الأبعاد في خطاب هذه الحقبة.

والبحث من بعد ذلك مَدِيْنٌ بالشكر لقارئه، على وقته أولا، وعلى ما سيبذله من ملاحظات تشدُّ عضدَه، وتُقيم معوجَّه ثانيا.

الباحث

تمهيد
(١)
التداولية والحجاج.

من وجهة النظر العامة ودون الخوض النظري في إجراءات التداولية المُدمجة، فإننا نلاحظ وجود وشائج فيا بين البعد التداولي والبعد الحجاجي للخطاب، وذلك لأن التداولية بوصفها: "دراسة خصائص اللغة في الاستعمال"[١] بالإضافة إلى أنها تُعنَى كذلك بدراسة المعاني السياقية[٢]- لها علاقة بالحجاج الذي يهتم بتقديم الحُجج في الخطاب من خلال مؤثرات لغوية بغرض الإقناع والتأثير، وإذا كان الحجاج يهتم بالاستدلال المنطقي في بناء تقنياته وأدواته الإقناعية، فإن التداولية لم تهمل جانب الاستدلال؛ إذ من ضمن تعريفاتها أنها" دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال"[٣]، وهو ما يربطها بالجانب الاستدلالي، الذي يتحسس المعاني الضمنية والمضمرات في الخطاب من خلال الاستدلال عليه بسياق الكلام، وهو من المهام التداولية التي تقدم شرحا للجوانب الاستدلالية في الملفوظ وطريقة سريانها ووظائفها.

وعلى هذا الأساس، فإن الغرض الإقناعي للحجاج يعد داخلا في نظرية أفعال الكلام التداولية، كما أن الحجاج لا يظهر دوما في الخطاب، وإنما قد يأتي مخبوءا، وهو ما يربطه بالتداوليّات التي تبحث في المعاني المضمرة،

---

(١) المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي- فرنسي- عربي): المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم (١)، المغرب، ١٩٨٩م، ص١١٦.

(٢) جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص١٩.

(٣) السابق: ص١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والأخير يُعدُّ من صميم الحجاج عند "مايير"، فقد جعله: "دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيّه"(١)، والبُعد الأهم للعلاقة فيما بين التداولية والحجاج إنما يتجلى في الخطاب الحواري؛ لكونه يقوم على جزء صريح وجزء ضمني يُدار فيما بين المتكلم والمتلقي، مما يُحتّم مراعاة المقام، وتحقيق مبادئ تنظيمية للحوار لضمان تحقيق مقاصده، وبالإجمال فإن الوجهة المُثلى لدراسة الخطاب الحواري أن تُدرس الحُجج فيه من منطلق تداولي، لأن الاكتفاء بجانب الاستدلال المنطقي قد يُسقط الخطاب في بؤرة المغالطات، ويخفق صاحبه في تحقيق أهدافه.

أما فيما يخص التداولية المدمجة فإن مجال اهتمامها: "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، والعلامات النوعية للسان، وتأكيد قدرتها الخطابية"(٢) واهتمت بالجوانب الإنجازية للدلالة التداولية، ومدى كفاء المتكلم في إدارة لغة خطابه، وقد ارتبط ظهور الحجاج في إجراءات التداولية المدمجة بما قدمه "ديكرو" من دراسات حول التداولية والدلالة، وتحويله وجهة الحجاج من منطلق الاستدلال المنطقي إلى اللغة أو الحجاج اللغوي، وذلك بتركيزه على البنية اللغوية، وتوجيه المتكلم إلى استخدام الأنفع لخطابه، مما يجعله دائما في حاجة إلى المقام، كما عالج الحجاج بوصفه من أهم المسائل التي

(١) عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، ٢٠٠٦، ص١٩٤.
(٢) بلخيري عبد المالك: التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية، مجلة تاريخ العلوم، تصدر عن جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، دورية سنوية، ع٨، ج(١)، جوان ٢٠١٧، ص١١٦.

تدخل في نطاق استعمال اللغة، انطلاقا من مسلمة أن اللغة تحمل بداخلها وظيفة حجاجية(١).

(٢)

خطاب الهجرة الثانية كما ورد في مسند أحمد(٢)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ:

" لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَى، وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا

---

(١) ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، دار العمدة للطبع، المغرب، ط١، ٢٠٠٦، ص١٤.

(٢) وهذه الرواية عن أم سلمة – رضي الله عنها– يعدها البحث أوثق الروايات من ناحية درجات الصحة، كما أنها تعطي طابعا تفصيليا للسياقات المختلفة للخطاب؛ لذلك جل اعتمادنا سيكون عليها في الدراسة والتحليل. وأشير إلى أننا سنكتفي بتوثيقها هنا دون الحاجة إلى تكرار توثيق الشواهد التي سَتَرِدُ منها لاحقا في البحث، وفي حالة استنادنا إلى الروايات الأخرى الواردة في كتب الأحاديث والسير والتاريخ عن الهجرة الثانية، فسوف نقوم بتوثيقه في موضعه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمِ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمِ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللهِ، إِذًا لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي

فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ. قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ – وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا –: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمِ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي – وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ – مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ – وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ – رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَاللهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ – يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ – قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتّى خَرَجَ إلَى نَاحِيَةِ النّيلِ الّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمّ انْطَلَقَ حَتّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ لِلنّجَاشِيّ بِالظّهُورِ عَلَى عَدُوّهِ، وَالتّمْكِينِ لَهُ فِي بِلادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَهُوَ بِمَكّةَ"(١)

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ٢٩٠/٥. قال الهَيْثَمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت ٨٠٧هـ): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع". مجمع الزوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م، ٢٧/٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الأول: مقامات الخطاب وموضوعه وأطرافه.

إن أهمية المقام لا تنبع من مساهمته في فَهم الرسالة اللغوية فحسب، بل له على النحو التداولي أهمية في ضبط عملية التلاؤم، ومطابقة القول للفعل الناتج عنه بما يناسب المقام، ولذلك كان" أيّ تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تُؤول فيه الجملة"(١) ولا يمكن الوصول إلى المعنى التداولي إلا من خلال موقف تواصلي، وهو الأمر نفسه الذي يحتله المقام في الدراسات الحجاجية؛ إذ يرى "بيرلمان" أن الكلام لا يكتسب الطابَع الحجاجي إلا من خلال الحقائق التي يجريها المتكلم في مجرى جدلي مع أحداث أخرى، وذلك كي يلائم بها المقام(٢)، ومن هنا فسوف نُعنى برصد مجموعة السياقات المحيطة بالخطاب، في محاولة لفهم المعاني المنجزة من وراء هذا السياق، ولتكون عونا لنا في معرفة طريقة ترتيب الحجج في الخطاب.

(١) السياق التاريخي للخطاب/ هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة.

في العام الخامس من البعثة النبوية، وتحديدا في شهر رجب أذِنَ رسولُ الله ﷺ لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وذلك بعد أن اشتدتْ وطأةُ مشركي قريش عليهم، وزاد حد التنكيل بهم، فقال لهم ﷺ :" إنَّ

---

(١) عمر بلخير: مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا)، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد (١٤، ١٥) لعام ٢٠٠١، ص١، والبحث في المجلة صص١٠١-١٢٥.

(٢) ينظر، محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج٢٣- ع٣، ٢٠٠٠م، ص٨٥، الصفحات في المجلة :٥٣-٩٧.

بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ؛ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ."[1] لتكون بذلك أولَ هجرة في الإسلام، هاجر فيها أحد عشر رجلا، وأربع من النسوة، فأقاموا شعبان ورمضان، ثم رجعوا في شوال، وذلك بعد وشاية نُقلت إليهم أن قريشا قد دخلت في الإسلام، وتصالحت مع رسول الله ﷺ، غير أن هذه الوشاية ما لبثت أن انكشف أمرها، بعد أن عاود مشركو قريش التنكيل بالمسلمين، فشرع المسلمون في الهجرة مرة أخرى إلى الحبشة، فكانت هذه هي الهجرة الثانية من العام نفسه، وقد بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا، وتسع عشرة امرأة، وكانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، لكنّ قريشا لم تدعهم هذه المرة، بل أرسلت إلى النجاشي وفدا محملا بالهدايا؛ كي يسلمهم هذه العصابة المسلمة، وكان على رأس هذا الوفد عمرو بن العاص- قبل إسلامه- وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وقد كادوا للمسلمين عند النجاشي؛ كي يرد جواره عنهم، ويسلمهم إلى قريش، لكنّ جعفرا قدّم هذا الخطاب؛ ليرد كيدهم ويبطل أثر

---

(١) الملك المقصود هو النجاشي، والنجاشي لقب ملوك مَن حكموا الحبشة، كما يقال لملوك الفرس أكاسرة، وملوك الروم قياصرة، وملوك مصر فراعنة،... وأما اسمه فأصحمة بن أبجر، وقد أرسل له رسول الله رسالة في السنة السادسة من الهجرة يدعوه إلى الإسلام، فأسلم، ومات سنة تسع للهجرة، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب. ينظر في سيرته، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧-١٩٩٧م،٢٦٨/٣. وينظر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١٦/٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هداياهم، واستمر المسلمون في الحبشة نحوا من أربعة عشر عاما؛ حيث عادوا سنة سبع للهجرة؛ ليلحقوا بالنبي ﷺ بالمدينة المنورة(١).

والذي يسترعي انتباهنا في هذا السياق التاريخي أن عدد المسلمين المهاجرين في المرة الثانية، وإن تضاعف مراتٍ عن عددهم في الهجرة الأولى، فإنهم في الهجرتين كان أغلبهم من المنتمين إلى رؤوس القبائل(٢)؛ إذ لو كانت غالبية المهاجرين من العبيد أو الإماء؛ لقيل ساعتَها: إنهم فروا من سادتهم في مكة، مما لا يملك النجاشي معه حينها إلا ردهم في الحال، دونما رغبة في الاستماع إلى شهادتهم أو أقوالهم، وتلك حجة داعمة للخطاب، مهّدت لشرعيته وأعطته قوة؛ خاصة أن الخطيب الذي رشحه المسلمون لينطق بلسانهم من أرفع المسلمين منزلة ونسبا، فهو ابن عم النبي ﷺ، وأبوه سيّد معروف من سادات العرب، ولا يُتصور أن يدور بخَلَدِ النجَاشي أن هذا السيد ضحّى بالسيادة مقابل فرار بلا ثمن، كما يدّعي وفدُ قريش عليه وعلى من معه من المهاجرين، بأنهم مجرد فتية سفهاء!

---

(١) ما ذكرناه من سيرة الهجرة بتصرف مبثوث بطوله في كتب كثيرة من كتب التاريخ والسير، منها: محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك(٢٢٤-٣١٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨، ٢/٣٢٩-٣٤١. وينظر: محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ): السيرة النبوية، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤، ٢٠٠٤هـ، ١/٢٤٧-٢٥٠. وينظر أيضا: ابن هشام: السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا وآخران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ١/٣٣٣-٣٣٨.

(٢) كان من المهاجرين من انتسب إلى بني هاشم، وبني أمية، وبني أسد، وبني نوفل، وبني عبد شمس، وبني زهرة، وبني هذيل، وبني تميم، وبني مخزوم... يراجع، السيرة النبوية لابن هشام، ١/٣٢٣-٣٢٧.

(٢) السياق المكاني وأثره في الخطاب:

لو جاز لنا التعبير بأن كلا الطرفين، وفد قريش وجعفر والمسلمين معه، كانوا يقفون على أرض محايدة، مما جعل كِفّة الطرفين متساوية تقريبا في هذا الجانب، فعلى الرغم من التبادل التجاري القديم فيما بين مكة والحبشة، وهو تبادل صنع معرفة مسبقة بطبيعة البلاد وسياسة أهلها، تلك المعرفة التي كان يُفترض أن تدفع بهم للتعامل وفق تفاوض سياسي، لكن شيئا من ذلك لم يحدث، فقد نحَّوا تماما جانب المصداقية في التعامل الخطابي، وأقدموا على توزيع الهدايا قبل الخطاب على بطارقة النجاشي، ومن ثَمَّ على النجاشي نفسه؛ رغبة في استمالتهم على نحوٍ ماديّ من خلالها، وهو ما نجح بالفعل في جعل شهادة البطارقة في صالح وفد قريش، فقالوا:" صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فأسلِمهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم." ولقد كانت المعرفة المسبقة ببلاد الحبشة متحققة، أيضا، لمهاجرة المسلمين، من خلال الهجرة الأولى التي قادتهم لتعميق معرفتهم بطبيعتها وطبيعة أهلها، لكن هذه المعرفة لم تكن الموجِّه الأساس في حياكة تفاصيل الموقف الخطابي، وإنما كانوا يتحركون في ضوء مسار آخر حدده لهم رسول الله ﷺ، ألا وهو: العدل، فقد نَعَتَ النبيُّ ﷺ النجاشيَّ بأنه ملك عادل، وهو ما راهن عليه المسلمون، فعمدوا إلى إنشاء مواقفَ كلاميةٍ تخاطب هذا العقلَ العادل، وقد نجحت مراهنتُهم في إنصات النجاشي إلى حُجّتهم، ورفض هدايا الجانب الآخر، فقال:" ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوةَ حين ردَّ عليّ مُلكي فآخذ الرشوةَ فيه" فأخيرا سمّى النجاشيُّ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العادلُ الأشياءَ بمسمياتِها، فهي ليست هدية، وإنما رشوة للعدول عن الحق، وهو ما كتب النجاة للطائفة المسلمة، وحقق لها مبتغاها.

(٣) السياق النفسي بوصفه باعثا حِجَاجيّا مُهمّا:

قد يكون ما يختلج نفوس جماعة المتخاطبين غير ظاهر للعيان، بوصفها مشاعرَ كامنةً، لكنَّ آثارَها في الموقف التواصلي غير قابلة للإنكار، ولعل أبا عثمان الجاحظ قد كفانا مؤونة الخوض في سرد هذه الآثار النفسية، فقد أفاض في إيضاح ما يعتري الخطيب من عيوب الكلام والنطق، من مثل: الارتعاد، والخوف، وجفاف الحلق. وفي الوقت نفسه تحدث عن سمات جيدة يتحلى بها الخطيب الناجح، من مثل: رباطة الجأش وجريان الريق، إلى آخر هذه الصفات.(١)

والناظر إلى السياق النفسي المُلازم للأطراف الفاعلة في الخطاب، سيكتشف – من خلال التدقيق– ملامحَ الاستجابات الصادرة عن كل طرف، وربما نجح في التنبؤ– حينها– بِمَنْ ستكون له الغلبة، فعمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، بل لن نغالي إذا قلنا، وقريش كلها مِنْ بَعْدُ، بوصفهم جميعا كتلة خطابية واحدة، قد تعرضوا لهزة نفسية ظهرت في الوصية التي أوصتها قريش لرَجُلَيْها، عمرو وابن ربيعة، حين قالوا لهما:" ادفعا إلى كُلِّ بطريقٍ هديتَه قبل أن تُكلموا النَّجاشي فيهم، ثم قدِّموا للنجاشي هداياه، ثم سلُوه أن يُسلِمَهم إليكم قبل أن يكلمهم" فهذا الحرص الشديد على أن يرفع النجاشي جوارَه عن المهاجرة المسلمة،

(١) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ٢٤/١، ٩٢.

ويسلمهم إلى رجُلي قريش (قبل أن يكلمهم)، يشير في وضوح إلى مدى خوف قريش من أن يؤثّر المسلمون بمنطقهم السديد في النجاشي، خاصة وقريش تعاني الأمَرّين من منطق نبيّ الإسلام هنالك في مكة، وكيف صار له أتباع يتكاثرون يوما بعد يوم! لا يستخدم سلاحا في دعوتهم سوى سلاح المنطق الباهر والحجة الدامغة، وهو ما تخشاه قريش وتهاب تَكراره في الحبشة؛ حتى لا تشرق شمس الإسلام في بقعة جديدة، فلا يكون بمقدورهم أن يخفوا نوره، ومن ههنا نجحت قريش في تسريب وَهنٍ نفسيّ عميق لعمرو بن العاص وصديقِه! مما جعل وَكْدَهُم يتوجَّه للرِّشا (الهدايا) لا إلى سِحرِ الكلامِ وتأثيرِه، وهذا التخالف الجمعي المتسرب في نفس قريش، متحقق، وبالمقدار نفسه، في نفس كلٍّ من عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وبالإمكان أن ندلل على هذا التخالف بموقفهما بعد قرار النجاشي تجاه المهاجرين، فقال موجها حديثه لهما:" انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد." ففي حين كان عمرو يتميّز من الغيظ، ويُقسِم إنه سيشي بهم عنده في الغد حتى يستأصل شأفتهم، كان ابن أبي ربيعة يُظهِرُ اللّينَ في موقفه من المسلمين؛ رافضا ما سيُقدِم عليه عمرو؛ لأن لهم صلة ورحما، ولو كانوا مخالفين لهما في الرأي، وهو ما ينقلنا إلى ضرب خفي من التخالف النفسي في موقف الرجلين.

وعلى الجانب الآخر تمتلك الكتلة الخطابية المُسلمة نفْسا قد ضرب الإيمانُ بجذوره فيها، فكانت تتحرك وَفق رأي واحدٍ ثابت، تصدر حُجّتُه من مشكاة واحدة، وهي ما أمرهم به وأوصاهم باتباعه النبي ﷺ، ومن الممكن أن نتلمس هذا الثباتَ النفسي في التشاور الدائم، فليس هناك انفراد بالرأي فيما بينهم، وقد حدث هذا حين قال عمروٌ للنجاشي: إنهم يَدَّعُونَ أنَّ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عيسى عَبدٌ، فـــــــ"اجتمعوا ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرجـــلِ إذا جئتموه قالوا: نقول والله ما علِمْنَا وما أمرَنا به نبيُّنا، صلى الله عليه وسلم، كائن في ذلك ما هو كائن."

(٤) الأطراف المتشاركة في الحدث الخطابي.

بالإمكان أن ننظر للأطراف المتشاركة في الخطاب في ظل فكرة الأدوار التي يؤدونها في الموقف الخطابي، وأغراضهم التي يرمون إلى تحقيقهـــا، وهذه الأدوار تتفاوت بتفاوت قوة مَنْ يُمثلها، فصاحب القوة المادية(قريش) قد تنقلب قوته بفعل الممارسة الخطابية إلى ضعف يتزحزحون مـــن خلالـــه ليحتلوا منزلة متأخرة في الواقع الخطابي وفي واقع الحـــال أيضـــا؛ نتيجـــة الإخفاق الخطابي في إنجاز الأفعال، و في المقابل قد يرتفع الطرف الأضعف ماديا(المهاجرة)، بفضل ما يمتلكونه من حِذق خطابيّ يمكـــنهم مـــن إنجـــاز أغراضهم.

وفيما يخص الأطراف المتشاركة في الموقف الخطـــابي الـــذي نحـــن بصدده، فإننا نلاحظ أن جعفرا ينتمي لمجموعـــة مـــن المخـــاطِبين، وهـــم المهاجرون الذين رشّحوه ليكون خطيبهم أمام النجاشي، والملاحظ، أيضـــا، أن جعفرا لم يكن يصدر في كلامه إلا عن مشورتهم، وهذا الانتماء أعطـــى لخطابه قوة، بالإضافة للقوة الخطابيّة التي ظهرت في حواره، وقد بيّنَتْ هذا الأمرَ السيدةُ أمُّ سلمة في روايتها لما حدث، في قولها:" فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟... فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب." وقد تكرر هذا الاجتماع وهـــذه المشـــورة مـــرة أخرى، وذلك حين أرسل إليهم النجاشي يسألهم عن عيسى-عليه الســـلام-

تقول:" فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟" إذن؛ فجعفر يُعدُّ داخل الموقف الخطابي خطيبا مباشرا يدير دفَّة الحوار، وأصحابه من المهاجرين يمكن تصنيفهم من المخاطِبين غير المباشرين؛ لأن جعفرا كان يأخذ في أحايين كثيرة برأيهم ويثبته في حواره مع النجاشي كما هو، ومن ورائهم جميعا يقف النبي ﷺ في خلفية المشهد الخطابي، حاضرة وصاياه في عقول أصحابه من المهاجرين، يرُدُّون شتاتَ أمرِهم إلى رأيه، ويقيسونه إليه؛ وهو ما تكرر في الخطاب أكثر من مرة.

أما المتلقون أو المخاطَبون فهم طائفتان، يمثل الأولى النجاشي وبطارقته وأساقفته[١]، ولا شك أن النجاشي هو الطرف الفاعل؛ نظرا لمكانته، ولأن رأيه دوما هو الحاسم في جدل الاختلاف الدائر فيما بين هذه الطائفة. أما الطائفة الثانية فيمثلها رَجُلَا قريش، وقد عُدّ فيها عمرو بن العاص المتلقي المباشر والمخاطِب المباشر أيضا، وذلك لأن ثمة تبادلا للأدوار فرضته طبيعةُ الخطاب الحوارية، فلا تستقر الأطراف في تصنيف واحد، بل يصير المتلقي مخاطِبا، والمخاطِب متلقيا بحسب توجه دفّة الخطاب. وتقف قريش في خلفية الحدث الخطابي بالنسبة لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بتوجيهاتها وتعليماتها الصارمة، وهو ما لاحظناه في تشديدها عليهما: أن يقنعا النجاشي بتسليم المسلمين قبل أن يدخلوا عليه ويكلموه، مما يعني أنّهم يقفون في موقع غير مباشر داخل الحدث الخطابي، في الأدوار جميعا، بوصفهم متلقين أو مخاطَبين.

---

(١) البطارقة: هم رجال الحرب، والأساقفة: رجال الدين النصراني، العالمون به، المتفقهون فيه. ينظر هامش المحققين، سيرة ابن هشام: ص٣٣٣، و٣٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(٥) الطبيعة الحوارية للخطاب، وتبادل الأدوار:

تجدر الإشارة إلى أن" الحجاج عملية حوارية إقناعية، يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته...، فإذا اقتنع الغير بهذا الرأي كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به ردَّه على قائله"(١) والذي خلع على خطاب جعفر والنجاشي هذه الصبغة الحوارية، ما تحقق في موضوعه من التفاوض، فالحدث الخطابي يعكس احتكام فئتين إلى طرف ثالث يحكم بينهما، مما يفرض حوارا قائما فيما بين هذه الأطراف الثلاثة، هذا الحوار الدائر لا يستقر طرفٌ فيه على حالة واحدة، بل يأخذ مرة دور المتكلم، وأخرى دور المتلقي، مما يثمر جدالا يتولد معه الحجاج وتداول الكلام معا.

وإذا كان الحوار يُعرَّف بأنه:" نوع من التفاعل اللفظي يلزم فيه المتخاطبون أن يتجادلوا ويسجلوا نقاطا على بعضهم البعض"(٢) فإننا نلاحظ أن طرفا مُهما من أطراف الخطاب لم يكن فاعلا في الحوار، وهو الطرف القُرَشيّ الذي يمثله عمرو بن العاص، فكان حواره مقتصرا على النجاشي، في حين لم يكن هناك حوار مباشر بين عمرو وجعفر، مما جعل عَمْرًا هو الطرف الأضعف، فقد حرص من البداية على ألا يكون هناك موقف كلامي فيما بين المُسلمِين والنجاشي، وهو ما يوصلنا إلى نتيجة مفادها: أنه لم يكن التخاطب وقرع الحجة بالحجة من ضمن خططه، وإنما خطته الأم كانت تتمثل في توزيع الهدايا (الرِّشَا) على البطارقة والنجاشي؛ لاستمالتهم، ثم فوجئ

(١) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، د.ط، ٢٠٠٠، ص٣٨.

(٢) ينظر، نور الدين رايص: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، المغرب، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٧٣.

بعد ذلك أن النجاشي لا يمكنه أن يحكم في القضية دون الرجوع إلى المسلمين والتحاور معهم، فلما وقع التحاور بطلت الهدايا، وحاول عمرو من جديد تأليب النجاشي على المهاجرين بإثارة مسألة معتقَد المسلمين في عيسى، عليه السلام، لكنه أيضا لم يفلح؛ لكون النجاشي – وللمرة الثانية– يستدعي المسلمين لمحاورتهم، وما يمكن أن نستنتجه من خلال سلوك عمرو داخل الخطاب أنه اعتنق مبدأ العنف، فتلاشت قدرتُه على الحوار، وأما المهاجرون فتبنّوا الحوار لنبذ العنف، وهذا هو عين الحِجَاج، الذي هو "عكس العنف بكل مظاهره"[١] كما هو عند بيرلمان وتيتيكاه.

(١) د. عبد الله صولة: الحجاج أطُرُه ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة –تونُس، د.ت. ص٢٩٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني: المعاني التداولية في خطاب جعفر للنجاشي.

أولا: الاستلزام الحواري والمعاني الضمنية في الخطاب.

يُعدُّ الاستلزام الحواري أو التخاطبي أحد أهم المفاهيم التداولية، التي نظّر لها "بول جرايس"، ويتعلق بأسئلة أثيرت حول قدرة المتكلم على أن يقول شيئا ويعني به شيئا آخر، وأن المخاطب قد يستمع إلى شيء ويفهم منه شيئا آخر، و" يتعين انطلاقا من هذا أن نفهم أن المتكلم يجعل سامعه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للجملة"(١)، وهذه المعاني الاستلزامية يكون بعضها عرفيا مرجعه الجانب اللغوي، وبعضها الآخر سياقيا منشؤه المقام التواصلي، ويكون متغيرا بحسب تغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية.

وقد وضع "جرايس" مجموعة من القواعد التي جاءت تحت ما أسماه مبدأ التعاون، يكون من شأنها، إذا التزمها أطراف الخطاب، أن تحقق الغاية التبليغية للخطاب أو المحاورة، هذه القواعد هي: الكم، ويعني الالتزام بالقدر المطلوب من الحوار، والكيف، وفيه لا يقول المحاور ما يعتقد أنه غير صحيح،وما لادليل له عليه، والمناسبة أوالعلاقة، وفيها يجعل كلامه مناسبا للموضوع، والطريقة وتتعلق بوضوح الأسلوب وتجنب الغموض واللبس.(٢)

---

(١) جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا- المركز لقومي للترجمة، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠١٠، ص٢١٢.

(٢) يراجع: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م، ص١٠٠. وقد أضاف من جاء بعد جرايس مبادئ أخرى كالتأدب، والتواجه، وغيرها، مما أضفى البعد التهذيبي للمحاورة إلى جانب البعد التبليغي. ينظر السابق: ص١٢٠.

وسوف نقوم برصد مجموعة من هذه المعاني الاستلزامية الضمنية في خطاب جعفر- رضي الله عنه- مع بيان غاياتها الإقناعية في الخطاب.

(١) المعاني الضمنية المستلزمة عن الأسلوب الخبري.

فمن المعروف أن معنى الخبر يقوم على إفادة المخاطب حكما لم يكن يعلمه، وهو ما يسمى بالفائدة، وقد يحقق الخبر لازم الفائدة بإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بمضمون الخبر، لكنّ كثيرا من الأساليب الخبرية في خطاب جعفر خرجت عن هذين المعنيين الحرفيين؛ لتؤدي بمعونة السياق معاني أخرى مستلزمة، من ذلك ما قاله عمرو بن العاص لبطارقة النجاشي بعدما أعطاهم الهدايا التي جلبها من مكة :" إنه قد صبأ إلى بلدِ الملِك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدينٍ مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم" فبجانب معنى الإخبار الذي اشتمل عليه هذا الجزء من الخطاب، فقد تشكل معنى آخر ضمني، وهو التحريض على المهاجرين، وذمّهم والدعوة إلى النَّيْل منهم، وطردهم، وذلك بنعتهم بصفات (العبيد)، فبدلا من التعبير بالفعل (هاجر) استخدم (صبأ)، وبدلا من (رجال) استخدم (غلمان) للدلالة على حداثة السن وما يتبعه من دلالة النزق وعدم النضج، بالإضافة إلى وصفهم بالسفهاء، وذكر هذه الألفاظ في وصفهم أدى إلى تشديد الفعل الإنجازي، وهو ما يعرف تداوليا بالقوة الإنجازية للمنطوق[١]،

(١) تعرف القوة الإنجازية بأنها:" الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يُعرَض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياقٍ بعينه من سياقات المنطوق" وقد تتحقق بمجموعة الأدوات والألفاظ اللغوية أو من خلال موقع الكلام في السياق. يراجع، د. محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، فصلية محكمة، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥، خريف ٢٠٠٤-شتاء ٢٠٠٥، ص١٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واستلزام دلالة ضمنية مؤداها: اطردوهم من أرضكم فورا، أو أسلِموهم لنا، في تحريضٍ سافرٍ ضد المهاجرين، كما أن المخاطَبين (البطارقة) في موقع خالي الذهن من الخطاب هنا، وقد نزّلهم عمرو منزلة المُنْكِرين؛ حين عمد إلى تأكيد الخبر بمؤكدين (إن، وقد)(١)، وهذا يعني أنه قد خالف مبدأ الكم، فزاد على الكلام ما يحقق غرضه وهو التحريض.

ومن الأساليب الخبرية التي حققت معنى استلزاميا أيضا، قول النجاشي بعدما عرض عليه جعفر القرآن، وقرأ صدر سورة مريم، فقال النجاشي:" إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة" فالمعنى الضمني المستلزَم، هنا، هو قبول النجاشي حُجَّة جعفر، ومن ثَمَّ قبول الإسلام، والتسليم بما عرض عليه منهم. وقد حملت الجملة مؤكدات (إنّ واللام) خرجت بها عن مجرد الإخبار إلى دلالة التسليم والقبول بالنسبة له، ودلالة الطمأنة بالنسبة للمهاجرين؛ إذ إن ما قاله النجاشي أمر معلوم عند المسلمين لا يحتاج إلى تأكيد، غير أنه أراد أن يبعث من خلال هذه الجملة المشددة المعنى بالتأكيد- رسالةَ طمأنة لجعفر ومن معه، فقَبول الحُجّة من المخاطَب معناه: أنه يلزمه الحكم نفسه الذي يتضمنها، مما يعني أن النجاشي صار مُصْطَفًا في صف جعفر، يؤمن بما يؤمن به. وامتدادا لتحقق هذا المعنى الضمني، فإننا نلاحظ تولد استجابة عن هذا التسليم، تتمثل في بكاء النجاشي وأساقفته، كما في وصف أم سلمة: " فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم" فهذا المعنى الضمني الذي حققه الخبر هنا، أحدث فعلا تأثيريا، تمثل في (البكاء) وهو ما يعني أن المنطوق قد حقق مقصد المتكلم وزيادة.

---

(١) وهو ما يعرف في البلاغة العربية بخروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر.

ومن الأساليب الخبرية التي تولد عنها معنى مستلزم، ما قاله النجاشي في سياق الرد على كلٍّ من البطارقة وعمرو بن العاص، حينما رفض تسليم المهاجرين وأمّنهم في جواره، فقال: "فأنتم سيوم بأرضي، مَنْ سبَّكم غـــرم، ثم مَنْ سبكم غرم، ثم مَنْ سبَّكم غرِم" والمعنى الضمني المستلزم عن قوله:" من سبكم غرم" هو "التهديد والوعيد والتخويف" للطرفين، لبطارقتـــه الـــذين وافقوا عَمْرًا في رأيه بردهم إلى قريش، ثم تهديد أيضا لعمرو وعبد الله بن أبي ربيعة، وتكرار الشرط أفاد التأكيد، وهو ما يعكس انفعال النجاشي بمـــا يقول، ويرسم لنا مدى الغضب الذي لم يسكت عنه، بل يجعلنا كذلك نتخيـــل نبرة صوته، وهو يشدد على هذه الدلالات الضمنية الناتجة عن الخبر، كمـــا عبّر عنها التكرار.

(٢) المعاني الضمنية المستلزمة عن الأسلوب الإنشائي.

والأساليب الإنشائية بطبيعتها تُحدِثُ في الحوار الخطابي رَجّة دلاليـــة؛ لكونها أساليب معدودة داخل اللغة، وذات أدوات مخصوصة، ولأنّ ما تؤديه من معاني مرهون بسياق التخاطب، سواء في ذلـــك المعـــاني الحقيقيـــة أو الضمنية؛ فالأمر، مثلا، لكي يؤدي معناه الحقيقي الدال على الإلزام، فلابـــد من مراعاة أن يكون الآمر مستعليا والمأمور أخفض منـــه فـــي الرتبـــة أو المنزلة؛ مما يعني أن الصيغة اللغوية وحدها لا تؤدي معنى الإلزام، بل لابد من السياق المقامي أيضا.

ومن المعاني الضمنية التي أداها الإنشاء قول النجاشي موجها كلامه لعمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة: "انطلقا فوالله لا أسلمهم إلـــيكم أبدا ولا أكاد" فأسلوب الأمر (انطلقا) إلى جانب دلالته على الإلـــزام، وهـــي

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دلالة تؤديها صيغة الأمر الحرفية، فإنه قد حقق عدة معاني استلزامية أخرى، منها: الزجر، والتوبيخ، والطرد، ورفض الحجة، والتهديد. وذلك لأن فعل الأمر تداوليا من التوجيهات، التي تحمل – كما عند سيرل– قوة إنجازية مرتبطةبقصد المتكلموإرادته(١)،وهي إرادة متعلقة بوجوب تنفيذ المأمور به.

ومن المعاني الضمنية المتحققة للأمر، أيضا، قول النجاشي للمهاجرين: " اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي" فهناك قوة إنجازية تعدّت المعنى الحرفي للأمر إلى تحقيق معنى "الإذن"، فبعد أن اقتنع النجاشي بحجة جعفر أمّنَه ومَن معه، وأذِن لهم بالعيش في كنفه، غير مهددين في نفوسهم أو أعراضهم، والإذن يحمل بداخله معنى الأمان. ومن الأمر كذلك قول عمرو للنجاشي بعد أن وشى بالمهاجرين عنده في قضية معتقدهم في عيسى، فقال له :" فأرسِل إليهم فسَلْهم عما يقولون فيه." إذ يختفي المعنى الحرفي لأسلوب الأمر هنا لصدوره ممن هو أدنى منزلة، ويتحقق معنى ضمني هو الحث والتعجل، وهذا المعنى قد خرق شرط التأدب في الحوار، كما أدرجتْه "روبين لايكوف" تحت مبدأ التهذيب في الخطاب، والقاعدة التي خرقها عمرو هي قاعدة (التشكيك)، وتعني ترك الخيارات مفتوحة أمام المخاطَب، وتجنب المتكلم أن يفرض نفسه أو رأيه عليه(٢)، وبالرجوع إلى السياق الذي ورد فيه أسلوب الأمر (فأرسل إليهم) نجد أن عمرو بن العاص مدفوع بشعور انفعالي غاضب، بعد أن رفض النجاشي طلبه بتسليم المسلمين عقب

(١) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص١٥٠.

(٢) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص١٠٠

المحاورة الأولى معهم، فما كان من عمرو إلا أن لجأ إلى حيلة جديدة للإيقاع بهم، حين طلب من النجاشي أن يأتي فيسألهم عن معتقدهم في عيسى، بالإضافة للهزيمة المعنوية التي مُني بها؛ نتيجة تخلي صاحبه عبد الله بن أبي ربيعة عنه، فكان من رأي "عبدالله" ألا يوقع عمرو بالمهاجرين ثانية عند النجاشي؛ لأن لهم رحما، فقال له: "لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا" ففي هذا النهي قوة إنجازية نتجت عن المعنى الحرفي، وهو طلب الكف عن فعل الوشاية التي أرادها عمرو، وهناك معنى استلزامي ضمني متولد عن هذا المعنى وهو "التوبيخ"؛ إذ إن من المهاجرين من كان من بني مخزوم ومن بني سهم(١)، وهما القبيلتان اللتان ينتمي إليهما عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي؛ فوبّخ عبد الله عمرا على عدم مراعاته لهذه الرحم في تلك الأرض البعيدة؛ خاصة أن صلة الأرحام خلق متأصل عند العرب في جاهليتهم قبل إسلامهم.

وقد تحقق أيضا أسلوب النداء كثيرا في الخطاب، في صيغة " أيها الملك" وقد خرجت عن معنى النداء لتحقيق معاني ضمنية تمثلت في التقريظ والمدح بغرض الاستمالة، وقد كانت هذه الصيغةُ هي المستخدمةَ من قِبل الطرفين (جعفر وعمرو)، مما يدل على أنها كانت أشبه بالبروتوكول المحدد سلفا لطريقة التخاطب مع ملوك الحبشة، وهو لا ينفي، خاصة مع تكرارها، نية القصد في استمالة المخاطب وتقريظه.

---

(١) كان من ضمن المسلمين المهاجرين من بني سهم، هشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم، وهو أخو عمرو بن العاص، وغيره كثيرون من بني سهم. أما من بني مخزوم فعلى رأسهم السيدة أم سلمة وزوجها أبو سلمة، وآخرون. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٢٢/١، ٣٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانيا: الفعل التأثيري والاستجابات الناتجة عنه في الخطاب.

عنَت التداولية عناية خاصة بأفعال الكلام، وفيها تشتمل الأقوال على ثلاثة أفعال رئيسة- كما حددها أوستن- فعل القول وهو مجموعة الأصوات التي تدخل في تركيب مؤدية معنى مباشرا أو حرفيا، وفعل القول هذا يُنتج معنى متضمنا يُعرف بالفعل الإنجازي، ويكون كامنا خلف المعنى الحرفي للكلام، والفعل الثالث هو الفعل التأثيري، ويكون أثرا يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطَب، وتتنوع الاستجابات الناتجة عن الفعل التأثيري ما بين نفسية أو جسدية، أو ما يُحدِث إقناعا أو تعديلا في السلوك إلى آخر هذه الاستجابات، ولقد عدّ "أوستن" الفعل الإنجازي أهم هذه الأفعال، ليس تهوينا من شأن الفعل التأثيري، ولكن لأن الفعل الإنجازي حاضر دوما؛ إذ لا ينعقد الكلام في فعل القول إلا به، في حين قد يحضر الفعل التأثيري وقد لا يحضر(١). وسوف نُعنَى برصد نماذج من الاستجابات التأثيرية في خطاب جعفر؛ لكونها متوافرة في الخطاب؛ مما يُشكّل مؤشرا على نجاحه في تحقيق مقاصد المتكلم.

ومن هذه الأفعال التأثيرية المهمة، التي تعد ثمرة الخطاب كله، ما كان من النجاشي بعد أن استمع وبطارقتَه لِما قرأه جعفر عليهم من سورة مريم، وفيها: "فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم." ففعل البكاء هنا مردود عاطفي بلا شك نتج عن عدة إجراءات عقلية أجراها النجاشي، ثم تطورت لتبلغ به هذا الأثر من الإخباتِ والقَبول

(١) يراجع: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٣.ص٩٦-٩٩.

للحجج المعروضة على النجاشي وأساقفته، ولما كان القرآن﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾(١)، ففيه كل ما يمكن أن يتوافر للحجة المقنعة، وهو ما نجح جعفر في توظيفه في هذا المقام. ويُعَدُّ تحقق الفعل التأثيري، وعدم توقف المنطوق عند الفعل الإنجازي- استجابةً لها أثرها في نفسية المرسِل (جعفر) ومن معه من المهاجرين؛ لأنه ينتج عدة دلالات مضمنة، أهمها: أن النجاشي صار في حزبهم، ودخل في عقيدتهم، مما ينتج وعدا بحمايتهم، ولعل في القسم" والله" الذي أوردته السيدة أم سلمة في روايتها للحدَث هنا، دليلا على الأثر الذي حققه فيهم بكاء النجاشي وأساقفته، وكأن المستمع ستدخله الغرابة حين يُحكى له ذلك، فجاء القسم لينفي هذه الغرابة ويثبّت الرواية.

وامتدادا لهذا الفعل التأثيري، فقد وقع في نهاية الخطاب فعلٌ آخر نتج عن استماع النجاشي لما أفصح به جعفر عن عقيدة المسلمين في عيسى،" فَضَرَبَ النّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ" هذا الفعل التصويري الإشاري، الذي أنتج لنا معنى قبول الحجة واعتناقها، لم يكتفِ فيه النجاشي بالبُعد اللغوي، وإنما استخدم الإشارة البصَرية للدلالة على المطابقة، وهو ما يعني رغبته في جمع حواس من يشهدون هذا الموقف الخطابي على هذا المعنى المهم، الذي يعلن عنه صراحة لأول مرة في الخطاب، وهو اتحاد عقيدته مع عقيدة المسلمين في عيسى. وتآزر البُعدين اللغوي والبصَري يوجه المستمعين إلى اعتناق الحُجّة التي يتبناها النجاشي، ويدمجهم في الخطاب من أكثر من زاوية.

---

(١) من الآية "٤٩" من سورة العنكبوت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن الأفعال التأثيرية التي حققت استجابة سلبية، ما جاء من ردة فعل البطارقة على ما صرّح به النجاشي من اتباعه عقيدة المسلمين في عيسى، والمتمثل في هذا الوصف:" فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ". فلَن نكون مُغالين إذا قلنا: إنّ ما تحمله (نخر) من معنى في هذا السياق شبيه بالفعل (شخر)، وما يؤديه في بعض السياقات الاجتماعية اليوم من دلالات مُشينة شنيعة(١)، وما اضطرَّنا لاستحضار تلك الوشيجة بين الفعلين، هو ما يمثله البطارقة في هذا المقام من كونهم آلة القوة، التي تحمي دين الدولة من التبديل أو التحريف، فكان رد فعلهم يحمل دلالة الامتعاض والنفور والغضب الشديد، وهو ما ينتج دلالة التهديد والوعيد الموجه ضد النجاشي، لكنّ النجاشي وأَدَ ذلك بقوله: " وإن تناخرتم والله"، ولم يعطهم فُسحة للتمادي فيه(٢)، وهو ما يعطي دلالة ضمنية مفادها: أنه أقوى من غضبتهم، ولديه من القوة ما يرد به على امتعاضهم.

---

(١) وفي اللغة يجمع بين الشخر والنخر، ففي لسان العرب: " نخر: مد الصوت، نخر الإنسان... مدّ الصوت والنَّفَس في خياشيمه". وفي معاني "شخر" جاء: "شخر: صوت من الحلق وقيل من الأنف...وقيل الشخر كالنخر، فالشخير من الفم، والنخير من المنخرين" ابن منظور، لسان العرب، حققه عبد الله علي الكبير، وآخران، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، باب الشين، مادة (شخر) ٢٢١١/٤، وباب النون، مادة (نخر) ٤٣٧٥/٦.

(٢) تكرر هذا الموقف بتمامه مع اختلاف الاستجابة مع قيصر الروم، فيذكر أنه لما جاءته رسالة النبي، صلى الله عليه وسلم، يدعوه فيها إلى اتباعه- جمع بطارقته وقال لهم : إني أرى لكم الفلاح في اتباع هذا النبي العربي، فتناخروا واستجالوا؛ حتى خشي قيصر على ملكه منهم، فردّهم إليه، ولجأ إلى الحيلة لاستنقاذ نفسه منهم، فقال: إنما أردت أن أختبر صلابة دينكم، فصدقوه وسجدوا له. ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي، مرجع سابق، ٣٠٦/٥.

المطلب الثالث: آليات الحِجاج في الخطاب.

تُعَدُّ الاستمالةُ التي تجر إلى إذعان المخاطب العنصرَ الأبرزَ، الذي بُني عليه تصور بيرلمان وتيتيكاه للحِجَاج، وقد جعلا موضوعه الأساس دراسة التقنيات الخطابية، "التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعَرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(١) ومن هنا فغاية الحجاج الاقتناع من خلال استمالة المخاطب، ثم جرّه إلى الإذعان والتسليم؛ اعتمادا على مخاطبة الجانب العقلي والعاطفي، دون الأخذ في الحجاج بمبدأ المنطق الصوري، الذي يقوم على المقدمات حتمية النتائج، فالحجاج قائم على الحرية؛ لأن هدفه بناء سُلّم حجاجيّ من الحجج والبراهين المناسبة للمقام دون القطع بالنتيجة، التي تكون موجودة بلا شك، غير أنها نسبيّة في تحققها وفي درجة هذا التحقق؛ لذلك كان من أفضل تعريفات الحجاج- من وجهة نظر البحث- ما عرفه به طه عبد الرحمن، بقوله:" كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(٢) وذلك لأنه يلمس الجانب الجوهري للحِجاج، المتمثل في حرية الأخذ بالحجة أو رفضها أو الاعتراض عليها أو تعديلها.

وسوف نُعدد في هذا المطلب مجموعة من الآليات الحجاجية البارزة، التي اعتمد عليها الحدَثُ الخطابيّ، مسبوقة بحديث عن تحليل الاستمالات فيه، بوصفها منطلقا حجاجيا مُهمّا.

---

(١) عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، مرجع سابق، ص٢٩٩.

(٢) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٢٦٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولا: تحليل الاستمالات في الحدث الخطابي بوصفها منطلقا حجاجيا.

وهي مجموعة الوسائل اللغوية أو المقامية، التي يطوّعها المتكلم أو الخطيب بشكلٍ احترافي؛ لتكوين مشاعر إيجابية نحوه ونحو خطابه مِن قِبَل المخاطَب أو المخاطَبين من الجمهور الخطابي، وتدخل الاستمالات ضمن الاستراتيجية التضمُّنية للحجَاج، وهي مجموعة الوسائل "التي يستخدمها المتكلم في خطابه بهدف التقرب من المتلقي للتأثير والإقناع"(١)، وبإمكاننا أن نرصد مجموعة من وسائل الاستمالات في الحدث الخطابي، الذي دار فيما بين جعفر والنجاشي وعمرو، من خلال عرض الآتي:

- **الاعتداد بالذات**:

لا يمكن أن ينفصل الخطابُ عن صاحبِه، وتأسيسا على ذلك فإنَّ صدورَ الخطاب عن الواثق في نفسه، المعتد بها، المؤمن بقدراته- لَمِمّا يُعجِبُ الجمهور من المتلقين، ويبني مصداقية في نفوسهم تجاه الخطيب، بل يستميلهم بتلك (الكاريزما) التي يُظهرها، وهو الأمر الذي تحقق لجعفر بن أبي طالب، ففي رواية حديث الهجرة الثانية من طريق ابن مسعود في مسند أحمد، أنه لما طلب النجاشي حضور جماعة المهاجرين، قال جعفر:" أنا خطيبُكم اليوم...فسلّم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل"(٢) ففي فعل جعفر دلالتان، الأولى: بث الثقة في نفوس

(١) محمد شكيمة: آليات الحِجَاجِ في خُطب الحجَّاجِ دراسة تداولية، رسالة ماجستير في علوم اللسان، بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٦، (إشراف: د. العزوزي حرزولي)، ص٤٠.

(٢) أحمد في المسند: مرجع سابق، ٤٦١/١. من رواية عبد الله بن مسعود.

المهاجرين؛ لكونه تصدّرَ من بينهم تصدُّرَ الواثق لمخاطبة النجاشي، والأخرى: أنه خالف عَمْرًا قبله، فقد سجد عمرو حينما دخل على النجاشي في المجلس نفسه، متماهيا مع فروض التحية المتعارف عليها في مجلس الملك، أمّا جعفر، فإن له عقيدةً تمنعه السجودَ لغير الله، مما جعل مَنْ حولَه يغتاظون من مخالفته تلك، ومنهم الرُّهبان من حول الملك، فقد نهروا جعفرا ومن معه؛ قائلين لهم:" اسجدوا للملك"(١)، لكن في الوقت نفسه ابتنت هذه المخالفةُ إعجابا في نفس النَّجاشي، فسألهم عن الله: "وما ذاك؟"(٢)، ولو لم يكن النجاشي قد استمالته فِعلةُ جعفر بعدم السجود له، لأقدم على إجبارهم على السجود بين يديه، أو طردهم وإنزال العقوبة بهم، ولكنه اجتر معهم حوارا حول ماهيّة معتقدهم، انطلاقا من هذا الحدث.

ومما يدخل في الاستمالة من خلال الاعتداد بالذات، أيضا، أن جعفرا ينطلق في محاورته مع النجاشي من منطلق الجماعة المسلمة، التي هو فرد منها، يصدر عن رأيها، ويعبر عن عقيدة يتحد معهم في الإيمان بها، وهو ما تحقق في مشهد دخوله على النجاشي، فإنه لما دخل عمرو نادى: "ائذن

(١) حديث الهجرة الثانية من رواية أبي موسى الأشعري؛ أخرجه عَبْد بن حُميد في المنتخب من مسنده، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة ، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، ص١٩٣.

ــ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ينظر: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠، ٣٣٨/٢.

(٢) السابق التخريج نفسه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لعمرو بن العاص"[١] – كما في رواية البزّار للحديث– فلما جاء جعفر قريبا من الباب، قال:" ائذن لحزب الله عز وجل"[٢]، فحضور الفرد في الجماعة هنا أمر يستمد منه جعفر قوة، ويُظهر للنجاشي أن هؤلاء إنما هم حقا أصحاب قضية.

- **التلطيف اللغوي سبيلا للاستمالة**:

وأول ما نشير إليه هنا استخدام النداء "أيها الملك" وقد تردد من طرفي الخطاب عمرو وجعفر، لكنّ وروده من قِبَل عمرو بن العاص كان كورود المضطر، الذي لا يقر للنجاشي بمكانة الملوك، وإنما يقولها لتحقيق ما يصبو إليه وفقط، وقد دلّ على ذلك ما ذكره عمرو نفسه في حوار داخلي (مونولوج)، يعكسه قوله:" فدخلَ ودخلتُ، فإذا النجاشي على السريرِ، وجعلتُه خلفَ ظهري، وأقعدتُ بين كلِّ رجلينِ من أصحابِه رجلا من

(١) حديث الهجرة الثانية من رواية جعفر بن أبي طالب؛ أخرجه البزار في المسند (١٥٦/٤)، وأبو يعلى في المسند (٢٧٨/١٣)، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: في هذا السياق لما رواه الثقات في هذه القصة مخالفةٌ كثيرةٌ فهو شاذ، أو منكر. انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٨٠/٥). التوثيق: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (٢١٥ – ٢٩٢)، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م). أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.
ـ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت٨٤٠هـ)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
(٢) انظر رواية البزار في التخريج السابق.

أصحابي، قال: فسكتَ وسكتنا، وسكتَ وسكتنا. حتى قلتُ في نفسي: اللعــن. هذا العبدُ الحبشيُّ ألَا يتكلم؟!"[1] إنّ ما تخفيه النفس تنطق به الجوارح؛ لذاك لم تؤت استمالة عمرٍو أُكلَها باستخدامه (أيها الملك)؛ لأنها تخالف ما يؤمن به في قرارة نفسه، التي لا تحمل سوى احتقار مقيتٍ للنجاشي.

ولكنّ العبارة اللغوية نفسها تكررت على لسان جعفر مرتين في سياق واحد، وذلك حين دخل عليه ليسمعَ منه، فقال جعفر:" أيها الملك كنّا قومــاً أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش...ولمــا قهرونــا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترنــاك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملــك." إن جعفر يرمي من وراء استخدام هذا التقــريظ اعترافــا صــريحا بمكانــة النجاشي؛ خاصة بعد صدور أفعال من شأنها أن تحقق في نفــس النجاشــي شعورا سلبيا، من ذلك مثلا ما أشرنا إليه مسبقا من امتنــاع جعفــر عــن السجود له، فكان افتتاح كلامه بعبارة (أيها الملك) اعترافا صريحا بمكانتــه؛ لتُزيل أي ريبة عند النجاشي من هذا الجانب، وقد تكرّرت العبارة في نهايــة كلام جعفر؛ لتخاطب في النجاشي ما تقتضيه هذه المنزلة، فهو ملك عــادل، وله حرية التصرف في مُلكه، والمهاجرون الآن بين يديه يقضي فيهم بمــا يمليه عليه عدل الملوك.

ومن العبارات اللغوية الدالة على تحقق الاستمالة، مــا تحقــق فــي تعبيرات النجاشي بعدما اقتنع بحجة جعفر، فإنه عبر بإضافة المهاجرين إلى ضميره اللغوي:(جاوروني، اختاروني، لا أسلمهم إليكم، منعــتهم، أحســنت

(١) انظر رواية البزار في التخريج قبل السابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جوارهم)، فهذه الإشارات كلها "مؤشر على الوظيفة التداولية أو القصدية (الموافقة)"[١] وتدل على اتحاد مصير المتكلم والمتلقي، ونجاح الاستمالة في تحقيق أغراضها.

- **المكاشفة**.

ففيما حكاه جعفر للنجاشي من تعرض المسلمين على يد مشركي مكة للتعذيب والتشريد قبل هجرتهم إليه، إنما يعكس رغبته في تضامن النجاشي معه، ولذلك فصّل له تفاصيلَ كثيرةً عن الدين الجديد، وعن قومه، وعن رسول هذا الدين ﷺ؛ ليكون بذلك قد بنى جسرا من التعاطف من خلال تلك المكاشفة الدقيقة.

ثانيا: الحُجج شبه المنطقية في الخطاب.

وفيها تستمد الحُجَج قوتها الإقناعية من مشابهة طرق البرهنة الشكلية، كالتناقض والتماثل، بالإضافة إلى طرق البرهنة الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل، والأصغر بالأكبر، وغير ذلك[٢]، ومن هذه الحجج التي رصدناها في تضاعيف الخطاب:

- **حجة التناقض**.

والحُجة التي تتوسد التناقض في الإقناع، لا تتطابق مع التناقض المنطقي التام، وإنما ينشأ بين طرفيها تعارضٌ يتحقق بحضور المقام، فالتناقض المنطقي في مثل قولنا: (محمد يلعب ولا يلعب) لا يتشابه مع

(١) عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٢٨٧.
(٢) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته..، ص٣٢٥

الحُجّة التي جاءت على لسان عمرو؛ لإقناع النجاشي بتسليم المهاجرين لقريش، يقول: " أيها الملك، إنه قد صبأ إلى بلدك مِنا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت" فقد اشتمل هذا الكلام على قضيتين، الأولى صحيحة (فارقوا دين قومهم)، والثانية زائفة بالنسبة للمقام (لم يدخلوا في دينك)، فعمرو لم يطارد المسلمين؛ لأنهم لم يدخلوا في نصرانية النجاشي، ولكنه قدّم هذه القضية الخاطئة، مع القضية الأولى الصحيحة؛ ليوجه ذهن المتلقي إلى قبول الصحيحة منهما، ومِن ثَمّ يمهد له هذا القبول أن يرضى بالثانية؛ برغم ما فيها من تعارض، وهو ما نبيّنه من خلال عرض القضيتين على النحو الآتي:

(١) المهاجرون فارقوا دين قومهم؛ لذلك تطاردهم قريش.

(٢) المهاجرون لم يدخلوا في نصرانية النجاشي؛ لذلك تطاردهم قريش.

فالتناقض الحاصل بين مفارقتهم وثنيةَ قريش، وعدم الدخول في دين النجاشي، ليس تناقضا وإنما هو تعارض مُتوَهّم، بناه عمرو على صيغة التناقض؛ ليقنع النجاشي بالجُرم الذي ارتكبه المسلمون؛ إذ إن مفارقة المسلمين لوثنية قريش لو أنه حقا السبب الرئيس، الذي من أجله طاردوا المهاجرين الفارّين منهم إلى تلك البلاد البعيدة، لَمَا قال عمرو: "ولم يدخلوا في دينك"، وكأن المهاجرين لو دخلوا في نصرانية النجاشي، لنجوا من مطاردة عمرو وقريش من قبل، وهو غير صحيح، وإنما أوقع عمرو القضيتين في حيز التعارض؛ لإقناعه بتسليمهم ليس إلا، ولِنستبينَ الحجة نوضح الآتي:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والأمر نفسه متحقق في قوله: (١) جاءوا بدين مبتدع. (٢) لا نعرفه نحن ولا أنت. فقد تحقق التناقض بين مجيئهم بدين مبتدع، وبين كون قريش والنجاشي لا يعرفون هذا الدين، وكأن الحكمَ بابتداع الدين متوقف على معرفة قريش والنجاشي به، فإن عرفوه فهو مجازٌ اعتناقُه وغير مبتدع، وإن لم يعرفوه كان مبتدعا، وهو ما أنشأ تناقضا مع المقام، الذي يجمع بين مناصبة قريش المهاجرين العداء، وذلك لِمُجَرّدِ مجيئهم بدين مبتدع لم يعرفوه.

-حجة التماثل.

وهي من الحجج شبه المنطقية، التي تُستخدم في تقويم شيء ما تقويما سلبيا أو إيجابيا[1]، وتنبني القدرةُ الإقناعية للتماثل على المقام، فهو الكاشف لما يحمله من مجاز؛ لأن قولنا: محمد هو محمد، أو الماء هو الماء، لابد أن يُفسَّر الثاني منهم في ضوء مقام يُظهر مخالفته للطرف الأول، وقد وردت حجة التماثل في الحدث الخطابي على لسان جعفر، وتكررت مرتين في مقام واحد، المرة الأولى حين دخل على النجاشي أول مرة، والأخرى في مقام إثبات معتقد المسلمين في عيسى -عليه السلام- أمامه.

(١) "نقول والله ما علمنا وما أمرَنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن."

(٢) "نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى، وما جاء به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن."

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته..، ص٣٢٧

فمعنى (كائن ما هو كائن) أي: تصوّر حصول كل حاصل، مما يمكن أن يكون جزاء لما سينطقون به من الحق أمام النجاشي، واستخدام التماثل هنا فتح باب (التحدي) على مصراعيه، في تخيل كل عاقبة من الممكن أن تحيق بالمهاجرين، أو تنزل عليهم إذا أبانوا عن معتقدهم في عيسى، المخالف لمعتقد النجاشي، وقد رسمت، أيضا، تقويما إيجابيا لتصرف المهاجرين في الموقف الخطابي، ومدى متانة عقيدتهم برغم ما يلفُّهم من أهوال.

- **حُجّة العلاقة التبادلية**.

وتظهر هذه الحجة في قاعدة حجاجية تسمى قاعدة العدل، وتقوم على معاملة وضعيّتين بينهما شبه تماثل معاملة واحدة(١)، والظاهرة المهمة التي نسجلها هنا أن هذه الحجة ظهرت في الخطاب مرتبطة بكلام النجاشي، الذي قال عنه النبي ﷺ إنه "ملك عادل"؛ وهو ما نلاحظه في قوله حين أراد عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة أن يسلمهما النجاشيُّ المسلمين قبل أن يكلموه، فقال:" إذًا لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي؛ حتى أدعُوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارَهم" فإذا تأملنا السياق نستنتج أن النجاشي قد رسم بُعدًا تبادليا، وذلك على النحو الآتي:

– كما سمعت منك يا عمرو سأسمع منهم، وبناء على ذلك فلو وافق كلامُهم كلامَك رددتُهم لقومهم، وإن لم يوافق منعتُهم منكم وكانوا في جواري.

(١) عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ص٣٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن الحجج التبادلية التي وردت على لسان النجاشي، أنه لما قبِل حجة المهاجرين، وأمر برد هدايا قريش، قال:" ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع فيّ الناس فأطيعهم فيه"(١)

(١) ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي؛ لذلك لن آخذ رشوة قريش.

(٢) ما أطاع الله فيّ الناس؛ فلذلك لن أطيعهم فيه.

وينبغي هنا أن نشير إلى أن النجاشي اقتنع عقليا أولا، ثم تبعت عاطفتُه عقلَه، وهو ما تُظهره الحجةُ التبادلية في جَلاء، فالرجل لديه من

(١) تُروى في السيرة قصصٌ كثيرة حول مقولة النجاشي " فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي" ملخصها: أنه لم يكن لأبيه ولد غيره، وأن أباه قد ملك الحبشة، فتآمر عليه أخوه فقتله، والنجاشي حينئذ غلام، وكان لعمه اثنا عشر ولدا، فأراد بمقتل أخيه أن يظفر بالعرش هو وأولاده، ثم إن أبناءه توارثوا الحمق والطيش، في حين أظهر النجاشي حنكة في تصريف الأمور، فأراد الحبشة أن يقتلوه أو يخرجوه من الأرض؛ حتى لا يكبر فيكون ملكا فيعلم بمقتل والده فيقتلهم أجمعين، فأبى عمه قتله، ولكنه وافق على إخراجه؛ فباعوه لرجل بستمئة درهم، ثم مات عمه في صاعقة من بعد، ولم يصلح أحد من أبنائه للحكم لحمقهم، فخشوا أن يذهب مُلك الحبشة، فبحثوا عن التاجر وأمروه أن يرد النجاشي فرده، فقلدوه الحكم، وفي يوم من الأيام جاء التاجر ليأخذ دراهمه، بعد أن ردّ على الحبشة غلامَهم، فأبوا أن يعطوه شيئا، فدخل على النجاشي وحكى له، فناداهم: أتعطونه دراهمه أم أضع يدي في يده وأذهب من حيث جئت؟! قالوا : بل نرد عليه دراهمه. فذلك قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه. ينظر :السيرة النبوية لابن هشام، ٣٣٩/١، ٣٤٠. ورويت القصة، أيضا، في مسند أحمد عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، سبق توثيقه، ٢٤/٦. وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير إسحاق، وقد صرح بالسماع .

المواقف المجرّبة في حياته، ما جعله يفكر في الأمور من منظور العقل أولا قبل العاطفة.

- **حُجَّة التَّعدِيَة**.

وهي من الحجج التي تقوم على العلاقات شبه المنطقية، وفيها تنشأ عن قضية ما قضية أخرى متضمَّنة، من خلال الاستدلال الذي يُنتج مسكوتا عنه(١) .

ويمكننا التمثيل على هذه الحجة من خلال قول النجاشي بعدما سمع كلام جعفر في عيسى، فقال:" إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة"، وللوصول إلى النتيجة المسكوت عنها، نتتبع هذا البيان لما تضمنته عبارة النجاشي:

- إن ما جاء به محمد ﷺ حقّ. (مصرح به في كلام جعفر في الخطاب)
- إن ما جاء به موسى، عليه السلام، حق. (مصرح به في عبارة النجاشي)
- إن ما جاء به عيسى، عليه السلام، حق . (نتيجة مُضمَّنَةٌ مسكوت عنها)
- إن ما عليه النصارى من تأليه عيسى، عليه السلام، باطل. (نتيجة مُضمَّنَةٌ مسكوت عنها)
- إن ما يدَّعيه عمرو على معتقد المسلمين في عيسى باطل (نتيجة مُضمَّنَةٌ مسكوت عنها).

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته..، ص٣٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبإمكاننا أن نرصد ملاحظة مهمة، هنا، تتعلق باختيار النجاشي التعبيرَ بـ(موسى) دون التعبير بعيسى، عليهما السلام، وتكمن الإجابة في أنه اختار موسى؛ لأن ما جاء به عيسى قد أصابه التّحريف، والنجاشي نفسه قبل قولته تلك كان يؤمن بعيسى الإله لا بعيسى رسول الله، فعبر بموسى لكيلا يُثير حفيظةَ البطارقة في هذا الموقف، وهم رجال الحرب في دولته، ودينهم، لا يزال بعدُ، على الإيمان بعيسى الإله، وقد يُحدثون انقلابا عليه بدعوى تغيير الدين؛ فتلافَى من خلال ذكر (موسى) حدوث مثل هذه العاقبة في هذا التوقيت، كما أنه قدّم حجة ملزِمة لأساقفته، تثير فيهم ضرورة التفكير في معتقدهم .

- **حجّة تقسيم الكل إلى أجزائه المكوّنة له**.

وهذه الحجة يشترط لحجاجيّتها أن يستوفي المُحاجِج الأجزاءَ التي يذكرها لهذا الكل، وأما الغاية الإقناعية التي تدعمها، فإنها تسهم في قوة حضور الشيء من خلال تعداد أجزائه، ومن ثم يتقوى حضور الكل في الذهن(١). ومن أمثلة هذه الحجة في الخطاب، ما قاله جعفر للرد على سؤال النجاشي:" ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم..؟"، فأجابه:" كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف.." فوضع جعفر أمام النجاشي كل مساوئ الجاهلية؛ مفصلا إياها، ومرتبا هذه الأجزاء؛ ليجعل بعضها سببا من بعض، وذلك كي ينفّر النجاشي منها، ويمهد لقبوله اعتناقهم الإسلام.

---

(١) ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٢٩. ويراجع: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته..، ص٣٣١

وعلى الجانب الآخر أخذ جعفر يعدد أيضا محاسن الإسلام وما أمرهم النبي ﷺ ، بقوله: "فدعانا إلى الله تعالى؛ لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدم، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمر بالصلاة والزكاة والصيام" وقد استطرد جعفر في تفصيل الأجزاء هنا؛ ليقرر حضورها في ذهن النجاشي، وليجعل لها الغلبة على ما عدده من مساوئ الجاهلية.

ثالثا: الحجج المؤسِّسَة على بنية الواقع.

وهي مجموعة من الحُجج التي يستعين بها المُحاجج للربط بين أحكام مُسلَّم بها، وأخرى يؤسس لها خطابُه، وذلك لينزلها منزلة المُسَلَّمِ به من خلال هذا الربط، ويشترط في هذه الحجج أن يراعي المحاجج طرائق عرض آراء الواقع التي يستند إليها في خطابه، وأن يقدم "تفسيرا للأحداث والوقائع، وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه"(١)، ومن هذه الحجج التي توافرت في الخطاب: السببية، وحجة الاتجاه، وحجة السلطة، ونعرضها على النحو الآتي:

- الحُجّة السببية.

وتقوم على الربط بين حدثين، أحدهما سبب والآخر نتيجة، وقد يُبدأ بالسبب ثم تأتي النتيجة، وقد يكون العكس، وأهميتها تكمن في أن المحاجج

(١) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص٢١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقدم من خلالها للمتلقي حدثا ما في ترابط منطقي تُذكر نتائجه، مما يوجهه لاتخاذ موقف حيال القضية المطروحة.

وقد توافرت هذه الحجة في الحدث الخطابي حين أقدم جعفر للإجابة عن سؤال النجاشي: "ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟" فلم يُجبه جعفر: الإسلام، وإنما قدم له الإجابة في شكل حجة سببية، ذكر أولا السبب ثم جاءت النتيجة، وذلك وفق التوضيح الآتي:

- "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة..." (وعدّد مساوئها)

-"فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا...فدعانا إلى الله تعالى لنوحّده"(عدّد محاسن الإسلام)

- " فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا"

-" فعذبونا؛ ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان... فخرجنا إلى بلدك" (النتيجة)

فنلاحظ أن جعفرا بنى حجته السببية على تسلسل منطقي في الإجابة عن سؤال النجاشي، وقد اعتمد فيها على الوقائع، التي لا يمكن دحضها؛ لأنه من السهولة بمكان أن يتأكد النجاشي منها، وقد جاءت الحجة معتمدة على طريقة في العرض ملتزمة بالترتيب الزمني؛ إذ إن هذه الحجة تنتمي للترابط التتابعي مع الواقع، ويشترط لها الترتيب الزمني[١]، وهو ما توافر في كلام جعفر.

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته..، ص٣٣٢.

- **حجة الاتجاه**.

وهي من أهم الحُجج التي تجلت في موقف جعفر والمسلمين معه، فهذه الحجة تقوم على رفض سياسة التنازل؛ لأن من يتنازل مرة سيتنازل كل مرة، ومن ثَمَّ يفشل في تحقيق مقاصد الخطاب في نهاية المطاف، وهذا ما كان واضحا في تصرف جعفر والمهاجرين داخل مجريات الحدث الخطابي، بداية من رفضه السجود للنجاشي، وانتهاء بالإجابة عن أسئلة النجاشي وَفق ما علمه إياه رسول الله ﷺ، وبخاصة في مسألة عيسى – عليه السلام– لكونها من المسائل العقدية، التي تمس معتقد النصارى، وقد تكررت عبارة " كائن في ذلك ما هو كائن" لتوحي بمدى صلادة جعفر في معتنقه، وتقديم هذا المعتنق بلا مداهنة أو تنازل.

- **حجَّة السُّلطة**:

في هذه الحجة يجتمع للمُحاجِج أن يقنع الآخرين بشخصه وما يمتلكه من نفوذ، وحجة السلطة تقوم"على اعتبار أعمال الشخص وسيرته وشخصيته لدى مستمعيه لها من الحجيّة ما يُعادلُ الخطابَ نفسَه؛ لأنَّ صدور الخطاب عن غير ذي إرادة ونفوذ وهيبة يُسقطه في بؤرة من التهميش لدى المستمعين"[(١)]، وقد يستند المحاجج، أيضا، إلى سلطة غير شخصية، من مثل العقائد والأنبياء والقرآن والإجماع، وغير ذلك.

---

(١) هاني علي سعيد: آليات الحجاج في خطبة النبي ﷺ في حَجَّة الوداع، منشور بحوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (فصلية علمية محكمة)،تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية (٣٦) الرسالة (٤٤٠)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا شكّ أن جعفر حقق في أكثر من موقف خطابي جـدارةً خطابيّـة، فجسارته أولا وتحمّله هذا الأمر، ثم رفضه السجود بين يدي الملك، وعـدم تماهيه مع أعمال خصمه عمرو، وموقفه الثابت الذي لا يعرف التنازل فيمـا يعرض عليه، وطلاقته في ترتيب الحجج، وخلو كلامه من التنـاقض، كلهـا حققت لخطابه بُعدا كبيرا من السلطة المؤدية للإقناع.

كذلك من السلطة غير الشخصية التي حققت حجّيةً لخطابه، اسـتناده إلى آيات من القرآن الكريم، وحديثه عن النبـي ﷺ، وتَعـداد صـفاته، واستخدام ذلك للتدليل على صحة ما يقدمه للنجاشي من أطروحات.

وقد تحققت السلطة أيضا من خلال ما قدمه النبي ﷺ للمهـاجرين من معلومات عن النجاشي، فقد شهد له بالعدل، ولعل هذه الشـهادة كانـت أكبر موجه داعم لخطاب جعفر؛ لأن أقوال النبي بالنسبة إليه ليست عرضـة للتشكيك.

أما النجاشي فقد استخدم أساقفته بوصفهم علمـاءً مشـهودًا لهـم- استخدمهم سلطةً لخطابه، ففي رواية البزّار عن جعفر أن النجاشـي سـمّى رهبانا باسمهم ليحضروا مجلسه مع جعفر، فقال:" ادعوا فلانا القس، وفلانا الراهب، فأتاه ناس منهم، فقال ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقالوا: أنـت أعلمنا"(١)، فإنما أراد النجاشي أن يدعم بهم الرأي الذي سيصدر عنـه فـي شأن معتقده في عيسى، وذلك بعد استماعه لما قاله جعفر.

(١) الحديث برواية جعفر بن أبي طالب، أخرجه البزار في المسند (١٥٦/٤)، وأبو يعلى فـي المسند (٢٧٨/١٣).

- الاستشهاد

وهو" آلية حجاجية تندرج تحت آلية الاحتجاج بالسلطة"[١] وهي من الحجج الجاهزة، التي يستوردها الخطيب ليدعم بها نصّه، وقد أظهر جعفر ذكاء منقطع النظير في اختياره صدر سورة مريم- عليها السلام- ليتلوها على النجاشي حينما طلب منه أن يُسمِعَه شيئا مما جاء به محمد عن الله، وفي اختيار الآيات من سورة مريم مناسبة للمقام؛ لأن هذه السورة من بين سور القرآن تحكي قصة المسيح، عليه السلام، منذ أن كان حمْلا، وما لاقته أمُّه من متاعب، ثم تتطرق للحديث عن نبوة عيسى، وتفنّد القول في الذين يمترون في حقيقته، مما كان له استجابة باهرة من النجاشي وأساقفته؛ إذ بكوا لمّا انتهى جعفر من تلاوته؛ لأنهم وجدوا ما سطّره القرآن الكريم موجودا في مصاحفهم، وهو ما يجعلنا نقول: إنه على الرغم من أن القرآن ليس حجة على النجاشي، فقد استند على إجراء عقلي عرض فيه ما تلاه جعفر على ما هو مكتوب في مصاحفهم، وهو ما انتهى به إلى تأثر عاطفي، ثم إلى تصديقٍ وإسلام.

رابعا: الحُجَج اللغوية في الخطاب.

عنى بيرلمان وتيتيكاه كثيرا بالحِجاج المَقامي، الذي تؤدي فيه الحجةُ أثرها الإقناعي من خلال المقام، وهو تطور كبير في مباحث الحجاج، التي كانت قبلهما تدور في فلك المنطق الصوري، القائم على النتائج المقطوع

(١) عيسى عودة برهومة، وماهر أحمد مبيضين: الخطاب السجالي في رسائل علي ومعاوية. آلياته وتقنياته، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، المجلد (٤٣) ملحق (٤)، ٢٠١٦، ص١٨٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بوقوعها، كما بيناه سابقا في مفتتح هذا المطلب، أما أزوالد ديكرو وجان كلود أنسكومبر، فمنطلق الحجاج عندهما إنما يكمن في اللغة، وهو منطلق لغوي تداولي، لا يعترف بأي بنية استدلالية من خارج نظام اللغة"(١)، وذلك لقناعتهما بأن اللغة ذات طابَع حجاجي في الأصل، وهو ما يجعل غاية كل متكلم التأثير، ومعلوم أنه لا تأثير من دون لغة.

وسوف نحاول أن نرصد أهمّ الآليات اللغوية للحجاج في الخطاب، ومدى تأثيرها إقناعيا.

- **الخصائص اللغوية للحوار في الخطاب وأثرها الحِجَاجِيّ**.

تنبغي الإشارة إلى أن الحجاج في الخطاب الحواري يكون أكثر حيوية منه في الخطاب أحادي المخاطِب، وذلك لوجود تغذية كلامية تؤجج الحجاج، وتغير وجهته، وتدفعه إلى الاحتدام بعد السكون، ولعل لغة الحوار في الخطاب الذي بين أيدينا كانت لها مجموعة من الخصائص المؤثرة حجاجيا، ومن ذلك:

– استخدام السؤال ليكون وسيلة مهمة لتمديد الحوار، وقد استخدمه عمرو في التمديد بعد أن فشِلَت خطتُه الأولى في الوقيعة بالمسلمين، فقال للنجاشي:" إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَبْدٌ، فَسَلْهُمْ عَنْ ذلك... فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ

(١) يراجع في ذلك: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص٣٥١.

مَرْيَمَ؟"[١]، فكان طلبُ عمرو تمديدا لحوار أوشك أن يُحسم لصالح المهاجرين، ثم تكرر استخدام السؤال في الحوار على لسان النجاشي، ولكنّ استخدامه هذه المرة كان بقصد إغلاق الحوار وإصدار حكم نهائي، وتحقق ذلك في السؤالين اللَّذين طرحهما على عمرو ومن معه: "عبيد هم لكم؟ قالوا : لا. فلكم عليهم دَيْن؟ قالوا : لا. قال: فخلوا سبيلهم"[٢]

– أن الحوار قد سار في هدوء وَفق الدور المحدد لكل طرف، ولم تكن هناك مقاطعة من طرف لطرف، أو تشويش من قِبل طرف ضد الآخر، بل كان في تناوب قولي (قال...قلت).

– أن التشابك القولي في الحوار لم يحدث داخل بلاط النجاشي، وإنما – كما يبدو من رواية أم سلمة– وقع في حدثٍ خطابيّ فرعي، فيما بين عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة، حين عزم عمرو على استئصال خضراء المسلمين بوشاية جديدة، وأبى عبدالله عليه ذلك.

– الاستبداد القولي الحاصل في المحاورة وقع من عمرو بن العاص؛ حين قال للنجاشي: "والله إن لم تُرحنا منه ومن أصحابه لا أقطع إليك هذه النطفةَ أبدا، ولا أحد من أصحابي"[٣]، ففي هذا الرد استبداد من قِبل عمرو؛

(١) مسند إسحاق بن راهويه، ٧١/٤. إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي: المسند، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢-١٩٩١م.

(٢) الحديث برواية جعفر بن أبي طالب، أخرجه البزار في المسند (١٥٦/٤)، وأبو يعلى في المسند (٢٧٨/١٣).

(٣) السابق: ويقصد بالنطفة البحر، أي يتهدده بألا تأتيه هدايا قريش وتجارتهم بعد الآن .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لقطع المحاورة ودفع النجاشي لإطلاق حكم مباشر على المهاجرين بتسليمهم، وهو ما لم يفعله النجاشي.

– تقويض الحوار في الخطاب حصل أيضا من قِبل عمرو، فمنذ البداية كان يريد أن ينفذ وصية قريش له بأن يسلم النجاشي المسلمين لهم دون أن يكلمهم أو يكلموه، وهي دعوة صريحة لنبذ الحوار وتغليب العنف، وهو موقف غير مستغرب من قريش ووفدها؛ لكون العنف كان نهجا لها في محاربة الإسلام ووأده في مهده.

– لم يُرصد في الحوار أية ألفاظ دالة على خرق التناوب، أو قفز طرف بالكلام على حساب طرف آخر. والتفسير الذي نقدمه لهذا الأمر أن وفد قريش وعلى رأسهم عمرو يعلمون قبل مجيئهم ما يتمتع به النجاشي من صرامة، بالإضافة إلى بُعدٍ سياسي آخر، وهو الرغبة في المحافظة على حليفهم، أما المهاجرون فإنهم لا يسعهم إلا الالتزام بمبادئ الحوار؛ لأن في الخروج عليه ما يُهدد وجودهم.

– (قد، وحتى) بوصفهما من الروابط الحجاجية(١).

وقد تكررتا في الخطاب، وحمل استخدامهما قدرة على ترتيب الحجج في علاقتها بالنتائج، ومن ذلك مجيء (قد) في قول عمرو:"أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ...وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمِ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ

(١) تعرف الروابط الحجاجية بأنها روابط :" تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة." أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص٢٦. وهذه الروابط تتنوع تنوعا كبيرا، فيدخل فيها " حتى ، بل، لكن، قد، ذلك، لا سيما،...وتتنوع وظائفها حجاجيا بين الإدراج، والتساوق، والتعارض، وغير ذلك.

آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمِ إِلَيْهِمْ" فقد قدّمت (قد) للحجة، ثم جاءت النتيجة متمثلة في (لتردهم إليهم)، بالإضافة إلى التأكيد الذي تؤديه (قد) في الجملة .

والأمر نفسه من الممكن أن نلمحه في استخدام (حتى) على لسان النجاشي:" لَا هَيْمُ اللهِ، إِذًا لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ" فالغرض من استخدام (حتى) هو إحداث تساوق بين الحجج، أي تقديمها جميعا دفعة واحدة والربط بينها، سواء في ذلك الحجج المقدَّمة عليها، أو التي جاءت بعدها؛ لتجعل لها جميعا توجها حجاجيا واحدا، وبالنسبة لاستخدامها في كلام النجاشي، فإن النجاشي وإن كان لا يهمه إقناع عمرو برأيه، لكنّ ما يتطلبه منصبُه، والمقام الذي هو فيه، يُحتّم عليه تبيان رفضه تسليم المهاجرين لعمرو، وهو ما حدث بمجموع الحجج التي أوردها قبل (حتى)، ثم ربطها جميعا بالحجة الأقوى بعدها، وهي أنه لن يسلمهم حتى يدعوهم ويسألهم عن أمرهم، وهو ما يعطي نتيجة ضمنية مضمرة، تتمثل في أن طلب عمرو تسليم المهاجرين قبل السماع منهم مرفوض، أو ما يمكن أن ندرجه تحت الحُجج التلميحية، التي تلمّح للخطأ الذي ارتكبه عمرو.

- **الوصف**.

يؤدي الوصف دورا مهما في الإقناع في أي موقف يرِد فيه، وهو في الموقف الخطابي أهم في تأدية هذا الدور؛ لِما للغة من قدرة على التأثير، ويظهر الوصف في الخطاب بوصفه ممارسة نصية موجهة لتحقيق غاية

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حجاجية[١]، ومما استخدمه عمرو من وصف بالنعت قوله: "إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا" فالنعت (عظيما) حقق معنى الشناعة، ووظفه عمرو لتوجيه حجاجي أثار من خلاله حفيظة النجاشي؛ كي يستدعي المهاجرين على جناح السرعة، ويحقق معهم في هذا الاتهام الخطير؛ وهو ما حدث بالفعل، فقد قال النجاشي: " إن لم يقولوا في عيسى مثل ما أقول لم أدعهم في أرض ساعةً من نهار"[٢]، وهو ما يُعَدُّ فعلا تأثيريا نتج عن ادعاء عمرو المؤكد بهذا الوصف المثير حجاجيا.

وفي المقابل نجد وصف جعفر لمريم، عليها السلام، في قوله: "هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ" فالتوجيه الحجاجي الذي أحدثه وصفُ مريم بـــ "العذراء البتول" هو توجيه للنجاشي وأساقفته بإجراء مقارنة بين وصفها هذا وما ورد في أناجيلهم المفتوحة أمامهم، ولقد كان النجاشي عالما، بل هو كما شهد له أساقفته بقولهم: "أنت أعلمنا"؛ لذا ففور سماعه ما قاله جعفر، قال:" مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ..." وهو فعل تأثيري نتج عن الوصف، يستتبع نتيجة مضمرة مفادها أن النجاشي صار على دين جعفر. ونلاحظ ذكر البطارقة دون الأساقفة، ووصفهم بما يفيد الاعتراض والغضب (تناخروا: أي أصدروا أصواتا تدل على الاعتراض والغضب)، وإنما مرجع

(١) ينظر: فيليب هامون، فن الوصف، ترجمة سعيد التريكي، بيت الحكمة، المجمع التونسي للعلوم والآداب، ٢٠٠٣، ص٢٢.

(٢) الحديث برواية جعفر بن أبي طالب، أخرجه البزار في المسند (١٥٦/٤)، وأبو يعلى في المسند (٢٧٨/١٣).

ذلك لكونهم رجال حرب، ولقلة علمهم، بالإضافة إلى أنهم متواطئون مع عمرو من البداية، في حين كان الأساقفة مع النجاشي في كِفّة التسليم.

وأما الوصف من غير النعت فقد تحقق في وصف جعفر للإسلام واستطراده في ذكر محاسنه، وهي المحاسن التي تتضاد مع الأوصاف السيئة التي ذكرها للجاهلية، وهذا التقابل حقق بلورة للفكرة التي يريد جعفر إيصالها، أو كما عبر عن ذلك القرطاجني بقوله:" إذا أردت أن تقارن بين المعاني، وتجعل بعضها بإزاء بعض، وتُناظِر بينها، فانظر مأخذا يمكن معه أن تُكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيّزين"(١) وهو ما صنعه جعفر حين هَمّ بإقناع النجاشي بأن تركهم لدين قومهم، لم يكن خروجا عن معتقد، بقدر ما كان إنقاذا لهم من مساوئ هذا المعتقد، ثم عَدّدَ له أوصافا للجانبين، وترك لهذه الأوصاف تعمل عملها الإقناعي لديه.

ويبدو أن جعفر- رضي الله عنه- قد استراح لهذه الطريقة في الإقناع، فكررها مرة أخرى في تَعداد أوصاف النبي ﷺ: " فَكُنّا عَلَى ذَلِكَ حَتّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ" وهنا ملاحظة مهمة بشأن هذه الحُجّة، وهي أنها قيلت في حضرة عمرو، ولم يقدم أي اعتراض عليها، ربما لعلم عمرو أنه لو كذّبها، فسيجد من يُكذّبه في تكذيبها؛ سواء في ذلك من شيعته ووفده الذي معه، أو من المهاجرين، بالإضافة إلى أننا لا ننسى أن النجاشي قد وصله ما قال عنه النبي من وصف بالعدل، وتأسيسا على ذلك كله يتوجه الحجاج لتحقيق نتيجة مضمرة،

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦، ص١٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تتمثل في أنه من الصعوبة أن يكون رجل هذه صفاته كذابا أو مُدّعيا لنبوة، أو صابئا من الصابئين، وكذلك أتباعه.

- **السُّلَّم الحِجَاجِي**.

من المعلوم أن الحُجج تتفاوت قوة وضعفا؛ لذا كان من تمام الإقناع بها مجيؤها في الموضع المناسب، وعلى هذا الأساس عُرّف السُّلَّم الحجاجي بأنه:" علاقة ترتيبية للحجج، تُحدد بموجبها مراتبُ الأقوال ودرجاتُها"(١)، وتؤدي الحجج في تعالقها نتيجة قد تكون صريحة في الخطاب أو مضمرة، وهي دالة بشكل ما على ما يتمتع به المُحاجِج من وعي يُمكّنه من تسلُّق سُلّم الإقناع؛ حاملا حُجَجَه المرتبة ترتيبا دقيقا، ومرتبا إياها في عقل المتلقي؛ ليصل في النهاية به إلى الإذعان والتسليم، ومن هنا كان السُّلم الحجاجي مرتهنا باختيار هذه الحجة أو تلك لتحقيق النتيجة المرجوة.

- **السُّلم الحجاجي العام في خطاب جعفر**.

وإذا تتبعناه فسنجده يمر عبر موضوعين:

الموضوع الأول: رده على ما ادّعاه عليهم عمرو من الهروب من قومهم، وفيه ترتَّبَتْ الحُججُ بدقة؛ وَفقَ هذا المنوال:

١- فضح الجاهلية، وبيان مساوئها، وما فيها من ظلم .

٢- بيان صفات النبي ﷺ التي أهَّلتْه للرسالة مُبَلِّغًا عن الله ﷻ.

٣- بيان أمور الإسلام ومحاسنه وتعدادها بالتفصيل.

---

(١) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٣١،١٣٠.

٤- حكاية رد فعل مشركي مكة وما فعلوه في المسلمين من تعذيب؛ ليردوهم عن دينهم.

٥- هجرتهم إلى الحبشة، واختيارهم جوار النجاشي؛ لأنه لا يُظلم عنده أحد.

الموضوع الثاني: الرد على سؤال النجاشي حول معتقد المهاجرين في عيسى عليه السلام.

ولم تطُل الحجج داخل هذا الموضوع؛ لأن المساحة الكلامية فيه لا تتسع لأكثر مما يعرفه جعفر عن عيسى، مما علمه إياه رسول الله ﷺ فيما نقل عن الله ﷻ، ومِن ثَمَّ فمَطُّ الكلام والإطناب فيه، سيكون محاولة لإخفاء قول الحق في عيسى؛ رغبة في إرضاء النجاشي، وهو ما كان يرفضه جعفر تماما؛ لكون الأمر يتعلق بعقيدة راسخة.

ومن هنا يُلاحظ أن حجج جعفر كلها تكتلت في الموضوع الأول، كما يلاحظ أن تركيز جعفر كان منصبا بالدرجة الأولى على إظهار بشاعة الظلم الواقع عليهم، وذلك لأنّ أيَّ عادلٍ يكره أول ما يكره الظالمين وقصصهم، كما أنَّ أي ظالم يكره أول ما يكره نماذج العدل، ومعلوم لدى جعفر أن صفة النجاشي الأولى التي يُعرف بها هي العدل؛ لذلك حرص على التأكيد في حججه على أنواع الظلم التي تعرضوا لها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **السلالم الحجاجية الجزئية**.

وفيها سنحاول أن نتلمس كيف استطاع جعفر ترتيب حججه داخل الموضوعين الأساسين اللذين سبق عرضهما، وما لهذا الترتيب من نتائج مضمرة، نعبر عنها بالرمز(ن).

(١) فضح الجاهلية، وبيان مساوئها، وما فيها من ظلم .

النتيجة: (ن) الجاهلية ظلم للنفس، وظلم للغير.

- (د) يأكل القوي منا الضعيف.
- (ج) نأكل الميتة ونأتي الفواحش.
- (ب) نعبد الأصنام.
- (أ) كنا قوما أهل جاهلية.

وقد جعل جعفر الحجة (د) آخر كلامه في السُّلَّمِ؛ لأنها تفصح عن الظلم في أشد صوره، وتلامس السبب الرئيس لهجرتهم؛ لذلك جعلها في هذا الموضع من الترتيب؛ لتكون آخر ما يعلق بذهن النجاشي. وقد انتقل في بناء الحجج انتقالا تصاعديا، فذكر الجاهلية إجمالا، ثم فصّل صفات أقوامها، فبيّن وثنيتهم وهو أمر منبوذ للنجاشي الذي يدين بالنصرانية، والوثني عنده كافر، ثم أبانَ عن الخلل في المعاملات، فهم لا يرعون حرمة للنفس أو للعرض، وأخيرا ذكر ظلم القوي للضعيف فيها، وهو ترتيب يصعد بالتنفير من الجاهلية لأقصى درجاته.

(٢) بيان صفات النبي ﷺ التي أهَّلَتْه للرسالة مبلغا عن الله ﷻ.

- النتيجة: (ن) الرسول أهلٌ لتبليغ الرسالة عن الله.

- (ج) أمين عفيف.

- (ب) صادق.

- (أ) نعرف نسبه.

تأخذ الحجج داخل هذا السُّلم شكلا تراتبيا؛ إذ لابد أن يكون النبيُّ معروفا لجعفر أولا، قبل الحكم بصدقه وأمانته وعفته؛ لذلك كان البَدْءُ بمعرفة النسب في الحجة (أ)، غير أن ذكر هذه الحجة من الخطورة بمكان؛ لأن دحضها ممكن من قِبل الطرفين: عمرو، والنجاشي، فأما عمرو فلأنه خصم، والخصم يستخدم كل ما يملك من أدواتٍ للتغلب على خصمه، وأما النجاشي فلعلمه أن جعفرا ابن عم النبي ﷺ، ومن الطبَعيّ أن يمتدح ابن عمه، لكن- وفي الوقت نفسه- يظل جعفر يقيس حجَجَه بمقياس ما يعرفه عن النجاشي من عدل، وأنه في حال إنكار خصمه عليه ما يقول، فإن كل مَن في الحبشة من المهاجرة سيشهدون جميعا بما شهد به، بل إن سرية قريش التي كان على رأسها عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة، لم يسعهم سوى السكوت؛ إقرارا منهم بصدق ما وصف به جعفر محمدا ﷺ، بالإضافة إلى أن النجاشي رجل (كِتابيّ)، يعلم أن الأنبياء لهم صفات واحدة، وأخيرا لم يكن بمُكنة جعفر أن يقفز درجة السلم الحجاجي فيعدد صفات الإسلام، دون أن يذكر مَن جاءهم بهذا الإسلام؟ فليس باستطاعته أن يُحدِث هذا الخلل؛ لأجل نتائج متوهَّمة قد تحدث، وقد لا تحدث، فآثر ذكرها ليشكل من خلالها ركيزة مهمة لخطابه.

(٣) بيان أمور الإسلام ومحاسنه وتعدادها بالتفصيل.

- النتيجة: (ن) الإسلام دين العدل.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- (ج) أحللنا ما أحل لنا.
- (ب) حرمنا ما حرم علينا.
- (أ) فدعانا إلى الله لنوحّده.

ينطلق جعفر في هذا السُّلم من بيان أهم ما ترتكز عليه عقيدة المسلمين، وهو التوحيد، وقد بيّن هذا الأصل بإسناده إلى النبي المُبلِّغ عن الله (فدعانا)؛ وهو ما يعد إجابة عن سؤال مضمر من النجاشي: وما الذي أدراكم أن إلهكم واحد؟ فكان هذا الإسناد في بيان أوامر الإسلام ونواهيه وتعاليمه إلى النبي ﷺ، بمثابة الإجابة عن هذا السؤال المضمر، وقد تكرر ذلك في كل ما ذُكر عن الإسلام تقريبا: (أمرَ بصدق الحديث، نهانا عن الفواحش، أمرنا أن نعبد الله، أمر بالصلاة والزكاة...).

وفي الحجة الرابعة والخامسة من الموضوع الأول، بإمكاننا أن نعرض لهذا السلم الحجاجي المهم، الذي يمثل أهم نتيجة أسفر عنها الخطاب كله.

النتيجة: (ن) إسلام النجاشي، وإسلام أساقفته، وتكذيبهم دعوى عمرو.

- (ج) إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.
- (ب) بكت أساقفته.
- (أ) فبكى النجاشي.

يعد البكاء في هذا السلم فعلا تأثيريا يبلغ بالإقناع أقصى درجاته، وذلك لتحقق اقتناع العقل والقلب معا، وداخل هذا السلم عدة نتائج مسكوت عنها، منها أن النجاشي وأساقفته الذين دعاهم لحضور المحاورة قد أسلموا،

بالإضافة إلى أن عَمرًا أخيرا قد خسر المعركة، وخسرها معه المنتفعون من البطارقة.

وفي الموضوع الثاني من السلم الحجاجي العام، الذي عمد فيه جعفر للإجابة عن معتقده في عيسى، وقع هذا السلم المهم أيضا:

- النتيجة: (ن) عيسى ليس إلها.
- (ب) عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.
- (أ) عيسى عبدالله ورسوله.

نلاحظ هنا أن حجج جعفر محددة تحديدا دقيقا، ومأخوذة عن آيات القرآن الكريم الكثيرة، التي أبانت عن معتقد المسلمين في عيسى، منها على سبيل التمثيل: قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[٢]، فجعفر هنا مُبلّغ، وليس بإمكانه أن يطيل في حجج عقلية، أو أن يضيف إلى الحجج ما لم يرِد، وهذا ما أهّل لهذه الحجة النجاح؛ لكونها طابقت ما في مصاحف الأساقفة، بل إن مقصد هذه الحجة الأول تمثل في تصحيح معتقد النجاشي وأساقفته في عيسى، بإبطال ما يدعونه، وهو ما يمكن أن نصنفه بالجدل الحجاجي، الذي يعرف بأنه:" تردد كلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه"[٣]، ويكون كما يقول ابن وهب :" فيما اختلف فيه اعتقاد

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة التحريم: ١٢.

(٣) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي: المنهاج في ترتيب الحِجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠، ص١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المُتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات"[١]، ليكون الجدل وتلبسه بالخطابة معولا مهما من معاول الحجاج، وكان ختاما قويا للمحاورة، التي انتهت بإسلام النجاشي، وتحقيق مقاصد جعفر والمهاجرة بأحسن ما كانوا يتوقعون.

خامسا: آليات بلاغية مساندة للحِجَاج في الخطاب.

على الرغم من أن هذا الخطاب لا تمثل البلاغة لبنة رئيسة في بنائه[٢]، فإننا لا نعدم ورود وسائل بلاغية مهدت للإقناع فيه، منها:

- التعريض واستدعاء آلام الحواريين:

يُعرَّف التعريض بأنه:" أن نذكر جُملة من القول نريد بها شيئا آخر، ولكن هذا الشيء لا يفهم بطريق اللزوم ....، وإنما يُفهم من السياق"[٣]وقد حقق جعفر في خطابه من خلال جملة من القول تعريضا مهما، وذلك حينما ذكر ما تعرض له المسلمون من تعذيب وتنكيل على يد مشركي قريش، ومنه قوله:" فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ

(١) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، د.ط، د.ت، ص١٧٦.

(٢) هناك أسباب كثيرة بإمكاننا أن نذكرها؛ تعليلا لقلة اتكاء الخطاب على الفنون البلاغية، منها: اختلاف لغة النجاشي عن لغة جعفر وعمرو، وهو ما يجعل هَمّ المخاطب موجَّها في المقام الأول إلى إيصال الفكرة، لا تنميقها وتزيينها، بالإضافة إلى أن الخطاب محاورة أخذت طابَعَ الارتجال، وهو ما يَضعُفُ معه تحبير الكلام وتنقيحه وتدعيمه بفنون البلاغة، ومنها، وهو الأهم، أن طبيعة موضوع الخطاب تُحتم على المتكلم ألا يغرقه في لُجّة المجاز والبلاغة، وإنما يكتفي فيه بما يؤدي إلى إبصار الحجة أو الدليل.

(٣) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٩-٢٠٠٩، ص٢٩٧.

الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلّ مَا كُنّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا.." وهو ما يعرّض بالآلام الكثيرة التي تجرعها المسيح- عليه السلام- والحواريون على يد اليهود، وهو ما جرَّ النجاشي إلى التعاطف مع جعفر والمهاجرة، وفي الوقت نفسه حقق في نفسه نفورا من ظلم قريش، التي يمثلها عمرو ومن معه.

- **المُشاكلة**.

من الفنون البلاغية التي تعرف بأنها: " ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"[(١)] ، وقد جاءت في كلام النجاشي حين رأى البطارقة من رجال الحرب حوله يطلقون أصوات الغضب؛ اعتراضا على قراره تأمين المهاجرة، والإيمان بعقيدة المسلمين في عيسى، فقال:" فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنّي الرّشْوَةَ حِينَ رَدّ عَلَيّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النّاسَ فِيّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ." والطاقة الحجاجية هنا مكتنزة في أسلوب بلاغي دقيق، يوجّه بمعونة السياق إلى دلالة مهمة وهي إدراك الزيف الحاصل، سواء على مستوى الصياغة، أو السياق الذي قيلت فيه تلك العبارة، فلفظة (الرشوة) الثانية جاءت على حقيقتها بمعنى:" الوُصْلَةُ إلَى الحَاجَةِ بِالمُصَانَعَة"[(٢)]، ويقصد بها النجاشي هدايا قريش المقدمة له لتسليم المهاجرين، في حين جاءت الرشوة الأولى على سبيل المجاز؛ لأن الله، تعالى، لا يأخذ رشوة من أحد، ويفسرها السياق، الذي سبق حكيُه حول

---

(١) الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ٥١١/٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، باب الراء، ١٦٥٣/٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

زوال ملك النجاشي بعد أن تآمر عليه عمُّه ومن كانوا في بلاطه، ثم رَدّ الله عليه مُلكه ثانية على يد مَن سلبوه إياه، وقد عملتْ المشاكلة على استحضار هاتين القصتين جنبا إلى جنب، قصة (قريش وهداياها) وقصة (ردّ الله الملك عليه دون مقابل) لتكون أقدر على إقناع هؤلاء البطارقة بأنه لن يتراجع في قراره؛ ولعل فيهم من كان شاهدا على القصتين معا، بصفتهم رجال حرب وسياسة، قد عاصروا ما حدث، كما حققت المشاكلة تعريضا مقصودا من النجاشي بهؤلاء البطارقة، وخيانتهم إياه بأخذهم هدايا قريش لتمرير ما لا يجوز تمريره.

- **المقابلة**.

وهي إحدى أهم الفنون البلاغية تكرارا في الخطاب، وقد حققت المقابلة لونا من الإقناع العقلي، وذلك لأن غاية العقل في قبول الحُجّة ظهورها مع نقيضها في بناء لغوي واحد؛ فيدرك من خلال هذا النقيض قيمة ما يتبناه ويسلم به، وهو الأمر الذي تحقق في التقابل بين محاسن الإسلام ومساوئ الجاهلية، بين عدل النجاشي وظلم قريش، بين صدق محمد ورحمته، وخيانة قريش وقسوتهم، بين حياد الأساقفة وإخلاصهم ومداهنة البطارقة ونفاقهم، بين غاية جعفر وغاية عمرو-آنئذ- بين وَحدة جعفر والمهاجرين معه، وتشرذم الرجلين(عمرو وعبدالله بن أبي ربيعة)، هذه الموضوعات المتقابلة في الخطاب، جاءت جميعها لتجعل من الحق حجة لا تدحض، وتُظهر الباطل في صورة من الزيف، الذي بدا منتفشا، ثم تلاشى شيئا فشيئا مع الحُجج الدامغات، التي ضمّنها جعفرٌ خطابَه.

الخاتمة ونتائج البحث

لن نكون مغالين إذا قلنا: إن الله ﷻ قد أجرى الحُجَّة على لسان جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، كما أجراها على لسان إبراهيم، عليه السلام، في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ الأنعام(٨٣)، فقد نجح، من خلال ما تضمنه خطابه من حجج، في النجاة بالجماعة المهاجرة من براثن قريش، التي تربصت بهم، وأنفقت الرِّشى في سبيل التخلص منهم، مُحذّرة وفدها من أن يتمكن المهاجرون من التحدث إلى النجاشي؛ لعلمهم أن للمسلمين حجةً باهرةً في إقناع مخاطبيهم، ولقد وقع ما حذِرَتْه قريش، فقد جاء خطاب جعفر في أعلى درجات الإقناع، وهو ما خصصنا له هذه الدراسة، التي رمت إلى تتبع مقاصد الخطاب، من خلال ما توافر فيه من وسائل تداولية، وآليات حجاجية، وكان من أبرز النتائج التي خرج بها البحث، ما نوجزه في الآتي:

– سياقات الخطاب تعد مفتاحا مهما للتحليل التداولي والحجاجي؛ لأنها تبين عن طرائق استعمال اللغة، وترشد إلى توجيه الحجاج وجهة إقناعية تختلف باختلاف كل مقام.

– الطبيعة الحوارية للخطاب حتمت أن ندمج بين التداولية والحجاج في التحليل؛ لقيام الحوار على أطراف يُتداول بينها شق ظاهر للكلام وآخر ضمني.

– طبيعة الخطاب الحوارية لم تجعل هناك متحدثا واحدا ومخاطبا واحدا، بل تبادلت الأطراف المتشاركة مواقعها، وهو أمر مفيد حجاجيا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– هناك كُتل خطابية غائبة ترسم للخطاب أفعاله، وهي قريش بالنسبة لعمرو، والنبي ﷺ، بالنسبة لجعفر، وبخاصة ما أخبرهم به عن عدل النجاشي، فقد عُدّ أهم موجه لحُجج خطابه.

– تضاءلت مشاركة عمرو في الحوار؛ لكونه قد خطط لكسب المعركة بالهدايا لا بالتحاور، كما رسمت له قريش، في حين كان الحوار طريق جعفر الأول من البداية.

–انتماء المهاجرة لرؤوس القبائل أعطت لخطاب جعفر شرعية، وتعبيره عن الضمير الجمعي في الخطاب أضفى عليه قوة، ومشاورته المهاجرين أعطته ثقة.

– التناقض والخروج عن مبادئ الحوار كان من نصيب عمرو، في حين خلا حوار جعفر والنجاشي من التزييف والتضليل، والتناقض، والمغالطات بأشكالها.

– زخر الخطاب بعدة معاني ضمنية نتجت عن الاستلزام الحواري، بالإضافة للأفعال التأثيرية المُشكلة للاستجابات في الخطاب.

– الاستمالات في الخطاب مثلت شكلا من أشكال التقرب للمخاطَب، وحققت لجعفر ما كان يصبو إليه من تعاطف النجاشي، في حين صدرت من عمرو بوصفها مجرد بروتوكول.

– الوعي في استخدام الكلمات أحد أهم أسلحة المتكلم، وقد نجح النجاشي في استخدام الكلمات بوعيّ، والأمر نفسه تحقق في استخدام جعفر.

– ارتبطت حجة التبادل المسماة في الحجاج بقاعدة العدل– بالنجاشي، وهو أمر مؤازر ومؤكد لما وصفه به النبيﷺ .

– ترتيب الحجج في خطاب جعفر لم يأت اعتباطا، بل بُني على علاقة السببية، والتساوق، والترتيب الزمني، وذلك على مستوى السلم الحجاجي العام أو الجزئي.

– من عوامل نجاح جعفر في خطابه أنه لم يبد أية بادرة للتنازل، وعدم تماهيه مع أفعال عمرو داخل الحدث الخطابي، واختياره السديد للاستشهاد بسورة مريم.

– استخدام الحجج في مسائل العقيدة في الخطاب جاء مأخوذا من القرآن الكريم، ملتزما فيه بما ورد دون إطناب، وهو ما يعرف بالحجاج الجدلي، وغايته تصحيح عقيدة أو إبطالها.

– ساندت الفنون البلاغية– رغم قلتها– آليات الحجاج في تحقيق الإقناع، وأهمها التعريض، الذي أكسب خطاب جعفر تعاطفا؛ لكونه استحضر حالة الحواريين المشابهة لحالة المهاجرين آنئذ.

– يلاحظ إلحاق الأفعال الإنجازية في الخطاب بأفعال تأثيرية، وهو ما يدل على نجاح الخطاب في تأدية مقاصده، التي حددها له الخطيب.

وأوصي – ختاما– بدراسة الخطاب النثري في زمن البعثة النبوية دراسة حجاجية، وذلك لتوافرها على جملة من الآليات الإقناعية، ولقلة التفات الدارسين إليها.

ولله الحمد أولا وآخرا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبَت المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم**.

١. ابن إسحاق، محمد (ت١٥١هـ): السيرة النبوية، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤،٢٠٠٤هـ، ١/٢٤٧-٢٥٠.

٢. أدراوي، العياشي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

٣. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف: المنهاج في ترتيب الحِجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠.

٤. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (٢١٥ – ٢٩٢)، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥. البوصيري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت٨٤٠هـ)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩.

٦. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت٤٥٨)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر

عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧. الجاحظ ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٨. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٩. ابن حُميد، عَبْد: المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة ، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

١٠. الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

١١. الذهبي، شمس الدين (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧-١٩٩٧م.

١٢. ابن راهويه ، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي: المسند، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢-١٩٩١م.

١٣. رايص، نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، المغرب، ط١، ٢٠٠٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٤. الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

١٥. صحراوي، مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٦. صولة، عبد الله: الحجاج أطُرُه ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة –تونُس، د.ت.

١٧. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك(٢٢٤-٣١٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨.

١٨. الطلبة، محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

١٩. عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٩-٢٠٠٩.

٢٠. عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، د.ط، ٢٠٠٠.

٢١. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٢٢. العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، دار العمدة للطبع، المغرب، ط١، ٢٠٠٦.

٢٣. عشير، عبد السلام: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، ٢٠٠٦.

٢٤. عكاشة، محمود: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

٢٥. القزويني، الخطيب (ت ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٦. القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦.

٢٧. المبخوت، شكري ، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة –تونُس، د.ت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٨. المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي- فرنسي- عربي): المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم (١)، المغرب، ١٩٨٩م.

٢٩. ابن منظور: لسان العرب، حققه عبد الله علي الكبير، وآخران، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، باب الراء.

٣٠. الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، (ت٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٣١. النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٢. ابن هشام: السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا وآخران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٣. الهَيْثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت ٨٠٧هـ): مجمع الزوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

٣٤. ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، د.ط، د.ت.

- **الكتب المترجمة**.

١. موشلر، جاك، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا- المركز لقومي للترجمة، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.

٢. هامون، فيليب: فن الوصف، ترجمة سعيد التريكي، بيت الحكمة، المجمع التونسي للعلوم والآداب، ٢٠٠٣.

٣. يول، جورج: التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

- **الدوريات والرسائل الجامعية**:

١. الأمين، محمد سالم ولد محمد: مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج٢٣-ع٣، ٢٠٠٠م، ص٨٥، الصفحات في المجلة :٥٣-٩٧.

٢. برهومة، عيسى عودة، وماهر أحمد مبيضين: الخطاب السجالي في رسائل علي ومعاوية. آلياته وتقنياته، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، المجلد (٤٣) ملحق (٤)، ٢٠١٦.

٣. بلخير، عمر: مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا)، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد (١٤، ١٥) لعام ٢٠٠١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤. سعيد، هاني علي: آليات الحجاج في خطبة النبي ﷺ في حَجَّة الوداع، منشور بحوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (فصلية علمية محكمة)،تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية (٣٦) الرسالة (٤٤٠)، ديسمبر ٢٠١٥م.

٥. شكيمة، محمد: آليات الحِجَاجِ في خُطب الحجَّاجِ دراسة تداولية، رسالة ماجستير في علوم اللسان، بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٦، (إشراف: د. العزوزي حرزولي).

٦. عبد المالك، بلخيري: التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية، مجلة تاريخ العلوم، تصدر عن جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، دورية سنوية، ع٨، ج(١)، جوان ٢٠١٧.

٧. العبد، محمد: تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، فصلية محكمة، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥، خريف ٢٠٠٤-شتاء ٢٠٠٥.

❋ ❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١١٩٠٧
٢-	Abstract	١١٩٠٨
٣-	مقدمة	١١٩٠٩
٤-	تمهيد	١١٩١٣
٥-	(١) التداولية والحجاج	١١٩١٣
٦-	(٢) خطاب الهجرة الثانية كما ورد في مسند أحمد	١١٩١٥
٧-	المطلب الأول: مقامات الخطاب وموضوعه وأطرافه.	١١٩٢٠
٨-	المطلب الثاني: المعاني التداولية في خطاب جعفر للنجاشي.	١١٩٣٠
٩-	المطلب الثالث: آليات الحِجاج في الخطاب.	١١٩٣٩
١٠-	الخاتمة ونتائج البحث	١١٩٧١
١١-	ثبَت المصادر والمراجع.	١١٩٧٤
١٢-	فهرس الموضوعات	١١٩٨١